

ردمء  
٢٢٢٧-٠٢٤٥  
ردمء الالكءرونى  
٢٢١١-٩١٥٢



ملفُ العءء  
مُسَبَقَةُ الْجَوَاكِرِ  
والمءءاءة المءقارءة

# العءمءء

مءءة فءصءلءة مءكمءة  
ءعنى بالابءاء والءراءاء الءنسانءة

السنة الءالفة. المءء الءالء. العءء الءانى  
مءءاءى الءول ١٤٣٥هـ آءاء ٢٠١٤م

# العَمِيدُ

مَجَلَّةُ فَضْلِيَّةٍ مَحْكَمَةٍ

تُعْنَى بِالْأَبْحَاثِ وَالدرَّاسَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ

تَصَدَّرُ عَنْ الْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ  
مُجَازَةً مِنْ وَزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

جَمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعَالَمِيَّةِ

السَّنَةُ الثَّلَاثَةُ . المَجْلَدُ الثَّلَاثُ . العَدَدُ الثَّانِي

شَعْبَانُ ١٤٣٥ هـ حَزِيرَانُ ٢٠١٤ م



الترقيم الدولي

ردمد: 2227-0345 Print ISSN:

ردمد الألكتروني: 2311 - 9152 Online ISSN:

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٦٧٢ لسنة ٢٠١٢م

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

المجلة في طريقها للحصول على عامل التأثير الدولي

من المركز الدولي للأنشطة البحثية

**ISRA**

**Tel:** +964 032 310059 **Mobile:** +964 771 948 7257

<http://alameed.alkafeel.net>

Email: [alameed@alkafeel.net](mailto:alameed@alkafeel.net)



الأمية  
للطباعة والنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

الأمير العام للعتبة العباسية المقدسة

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الهيئة الإستشارية

أ.د. طارق عبد عون الجنابي. كلية التربية. الجامعة المستنصرية

أ.د. رياض طارق العميدي. كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة بابل

أ.د. كريم حسين ناصح. كلية التربية للبنات. جامعة بغداد

أ.د. تقي بن عبد الرضا العبدواني. كلية الخليج. سلطنة عمان

أ.د. غلام نبيل خاكي. جامعة كشمير. مركز دراسات آسيا الوسطى

أ.د. عباس رشيد الدده. كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة بابل

أ.د. سرحان جفات سلمان. كلية التربية. جامعة القادسية

أ.م.د. علاء جبر الموسوي. كلية الآداب. الجامعة المستنصرية

أ.م.د. مشتاق عباس معن. كلية التربية. ابن رشد. جامعة بغداد



### مدير التحرير

أ.م.د. شوقي مصطفى الموسوي (كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل)

### سكرتير التحرير التنفيذي

سرمد عقيل أحمد

### سكرتير التحرير

رضوان عبدالهادي السلامي

### هيئة التحرير

أ.د. عادل نذير يبري (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء)

أ.م.د. علي كاظم المصلاوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء)

أ.م.د. عز الدين الناجح (جامعة منوبة) تونس

أ.م.د. خميس الصباري (كلية الآداب والعلوم / جامعة نزوة) سلطنة عمان

أ.م.د. أحمد صبيح محسن الكعبي (كلية التربية/ جامعة كربلاء)

أ.م.د. حيدر غازي الموسوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

م.د. علي يونس الدهش (جامعة سدني) أستراليا

### تدقيق اللغة العربية

أ.م.د. شعلان عبدعلي سلطان (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل)

م.د. علي كاظم علي المدني (كلية التربية / جامعة القادسية)

### تدقيق اللغة الإنكليزية

أ.د. رياض طارق العميدي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل)

أ.م.د. حيدر غازي الموسوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

### الموقع الإلكتروني

سامر فلاح الصافي

### الإدارة والمالية

عقيل عبدالحسين الياسري



## قواعد النشر في المجلة

مثلاً يرحّب العميد أبو الفضل العباس عليه السلام بزائريه من أطراف الإنسانية، تُرَحَّبُ مجلة (العميد) بنشر الأبحاث العلمية الأصيلة، وفقاً للشروط الآتية:

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة في مجالات العلوم الإنسانية المتنوعة التي تلتزم بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً، ومكتوبة بإحدى اللغتين العربية أو الإنكليزية، التي لم يسبق نشرها.

٢. يقدّم الأصل مطبوعاً على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥,٠٠٠-١٠,٠٠٠) كلمة، بخط Simpelied Arabic على أن ترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة.

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين وجهة العمل والعنوان (باللغتين العربية والإنكليزية) ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث، أو أية إشارة إلى ذلك.

٥. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمن: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة. هذا عند ذكر

المصدر أول مرة، ويذكر اسم الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٦. يزوّد البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الأبجائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجالات.

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصدره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يُشير فيما إذا كان البحث قد قدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالها، كما يُشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

٩. أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً، وليس مقدماً إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى الباحث تقديم تعهد مستقلّ بذلك.

١٠. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١١. تخضع البحوث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ) يبلغ الباحث بتسلّم المادة المرسلة للنشر خلال مدة أقصاها

أسبوعان من تاريخ التسلم.  
ب) يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير  
على نشرها وموعد نشرها المتوقع.  
ج) البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو  
إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات  
المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.  
د) البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء  
أسباب الرفض.  
هـ) يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه،  
ومكافأة مالية.

١٢. يراعي في أسبقية النشر:

أ) البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.  
ب) تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.  
ج) تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها.  
د) تنوع مجالات البحوث كلما أمكن ذلك.  
١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة  
التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون  
خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه.  
١٤. ترسل البحوث على الموقع الإلكتروني لمجلة العميد المحكمة  
alameed.alkafeel.net من خلال ملئ إستمارة إرسال  
البحوث.. أو تُسلم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:  
العراق / كربلاء المقدسة / حي الحسين عليه السلام / مجمع الكفيل  
الثقافي.





No :

العدد: ٢٠١٢/٤

Date:

التاريخ: ١٤/٤/٢٠١٢



الجهة العلمية المنظمة / قسم التوثيق الفكرية والثقافية

م / مجلة العميد

تحية طيبة...

التذرة الى رسالتكم الالكترونية الواردة بتاريخ ٢٠١٢/٣/١١ وبكاتبنا المرقوم ب ت /٤ /٢٠١٢  
في ٢٠١٢/٤/٢٠ ، ونظرا لحصول مجلتكم (مجلة العميد ) على الترخيم الدولي (ISSN) الخاص بها  
، لتسري إصدار المجلة اعلاه لافراد الترقية العلمية .

مع التاكيد

أحمد محمد عبد عطية السراج  
المدير العام لدائرة البحث والتطوير  
٢٠١٢/٣/١٢

نسخة منه الى :

- البحث والتطوير / قسم التوثيق العلمية
- الصاروا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كلمة العدد

### الخطوة الثانية للشمعة الثالثة

حينما توقد شمعتك الثالثة، يعني أنك تقدّمت في مسيرة عمرك؛ لتبدو أمامك مسؤوليات مضافة، تجعل من خطواتك نحو النجاح أكثر حذراً؛ لأنّ ما تحقّقه في المسافات الأولى من الانطلاق، يضعك قبالة ثقلين: ثقل المحافظة على ما سبق، وثقل تجاوزه لتحقيق ما هو أفضل، تأسيساً على حكمة سيد البلغاء أمير المؤمنين عليه السلام: (من تساوى يومه فهو مغبون).

يؤشر العدد العاشر مجموعة أمور؛ أولها: أنّه الخطوة الثانية في مسيرة السنة الثالثة من عمر المجلة، وثانيها: أنّه ضمّ ملفاً يعاين سيرة فعل ثقافي مهم في المسيرة الثقافية للعتبة العباسية المقدسة؛ ذلك هو (مسابقة الجود العالمية للشعر العمودي بحق أبي الفضل العباس عليه السلام) وثالثها نتاج العقول الأكاديمية التي احتضن هذا العدد بعضاً منها.

فأمّا الأمر الأول، فقد ذكرنا في مستهل هذه المقدمة عظم ما يليق به من ثقل على عاتق هيأتي المجلة؛ للمحافظة على ماكان، و الارتقاء فيما هو كائن و ما سيكون.

و أما الأمر الثاني، فهو عين على عين؛ لأن انعدام المراقبة لأفعال التنافس، ولا سيما الإبداعية منها، يحوّل الفعل من فعل حركي متنامٍ، إلى حدث سكوني رتيب؛ لذا استقبلت المجلة كتابات باحثين أشروا مواطن الفعل الثقافي في المسابقة بنفس حضاري حيادي.

وأما الأمر الثالث؛ ففيه صوت ذو عمق أول، كنّا قد صدحنّا به ومازلنا، مفاده: أنّ المجلة مستمرة بما تكتبون، وحلّتْها بهية بأفلامكم. ولنا أن نختم بوعد قاربنا على قطاف تحقيقه؛ ذلك هو: أنّ المجلة ستتحول إلى مجلّة عالمية رصينة على غرار الـ Impact Factor: عامل التأثير الدولي؛ لتحقق لكتّابها وباحثيها ودارسيها أسمى ملامح الارتقاء، كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا.

ثقافة التنافس وفاعلية التنمية الإبداعية (مسابقة الجود أنموذجاً)	٢١
أ. م. د. علاء جبر الموسوي الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية	
كمون الضاردة (مقاربة تحليلية للنصوص الفائزة بمسابقة الجود العالمية الأولى)	٣٧
أ. م. د. فاطمة كريم البحراني جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد / قسم اللغة العربية	
غياب الشائع من الفاظ الرثاء (قراءة في قصائد مهرجان الجود العالمي)	٦٧
أ. م. د. أحمد صبيح الكعبي جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية مصطفى طارق عبد الأمير ماجستير لغة عربية من جامعة كربلاء	
دلالة الألفاظ القرآنية عند الإمام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small>	٩٩
أ. م. د. أسيل متعب الجنابي / م. د. سعيد سلمان جبر كلية الآداب / جامعة واسط / قسم اللغة العربية	
الجهود الدلالية عند العلماء العرب القدماء (من بحوث مؤتمر العميد العلمي العالمي الأول)	١٢٧
م. د. إدريس بن خويا / فاطمة برماتي قسم اللغة والأدب العربي / الجامعة الإفريقية / أدرار / الجزائر	
أثر التنويريين القدامى في الأدب واللغة (الجاحظ والمبرد أنموذجاً) (من بحوث مؤتمر العميد العلمي العالمي الأول)	١٥٧
أ. م. د. وجيهة محمد المكاوي كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة / جامعة الأزهر / مصر	

البنائية البريطانية وتطبيقاتها في الانثروبولوجيا الاجتماعية (رؤية انثروبولوجية في آراء راد كليف براون) ا.م.د. علي زيدان خلف الجامعة المستنصرية / كلية الاداب / قسم الانثروبولوجيا التطبيقية	٢٠٧
نظرة في التعليل النحوي بين القدماء والمحدثين م.د. هاشم جعفر حسين جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية	٢٦٩
المسكوت عنه (دراسة نحوية دلالية) م.د. حميد عبد الحمزة الفتلي جامعة بغداد / كلية الاداب / قسم اللغة العربية	٢٩١
البنية الحركية في الأدب التفاعلي (قراءة في التجريب الرقمي) م.د. إحسان التميمي جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد / قسم اللغة العربية	٣١٩
Formal Semantics or Dual Pragmatics Prof. Dr. Majeed Al-Maashta Islamic Unvercity in Hila	15
Flouting and Violation of the Maxim of Quantity in Shakespeare's Hamlet Dr. Muayyad Omran Chiad Univercity of Karbalaa / Faculty of education Department of English	29

ملفُ العدد

مُسَابِقَةُ الْجَوْلَانِ  
وَالْحَدَائِثِ الْمُسَوِّدَةِ



البنائية البريطانية  
وتطبيقاتها في الأنثروبولوجيا الاجتماعية  
رؤية أنثروبولوجية في آراء راد كليف براون

Constructivism and its  
Application in British Social  
Anthropology  
Anthropological Vision to the  
View of Rad Clive Brown

أ.م.د. علي زيدان خلف

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب

قسم الأنثروبولوجيا التطبيقية

Asst. Prof. Dr. Ali Zeidan Khalif  
University of Mustansiriya  
Collage of Art  
Department of practical Anthropology





## ملخص البحث

إذا ما أراد دارس الانثروبولوجيا الاجتماعية ان يتعمق في دراستها فان عليه ان يتعمق بدراسة أعمال راد كليف براون وخاصة في دراسته الحقلية عن سكان جزر الإندمان وإذا ما كانت المدرسة البريطانية في الانثروبولوجيا الاجتماعية فان (راد كلف براون) واحدٌ من أقطاب هذه المدرسة وأبرز أعلامها، ويعد من أهم علماء الانثروبولوجيا الرواد الذين قدموا لنا اسهامات عميقة الجذور لدعم وتقديم هذا الفرع من فروع الانثروبولوجيا، وانطلاقاً من ذلك الأمر فاني وفي هذا البحث سأستعرض حياة (راد كليف براون) كشخص وكعالم انثروبولوجي رائد مع التركيز على ابراز معالم دوره واسهاماته النظرية والميدانية التي ادت وبالقطع لترسيخ وتطوير الانثروبولوجيا الاجتماعية الأمر الذي مكن لهذا العلم الانثروبولوجي من ان يحتل مكانه اكاديمية راقية في معظم جامعات العالم .

## ABSTRACT

There is no doubt that there are several millstones in the history of the origins and evolution of anthropology , one of which is Rad Clive Brown who makes certain contributions to scientific fields of social anthropology that lead to support the development and consolidation of this important branch of anthropology.

Many researchers agree that it is necessary for a philosopher to deepen his knowledge through anthropology; Brown refers to the writing of Aristotle to acquire more biological information; it is important for researcher to delve into Brown's works and in specific for his study on the people of Andaman Islands.

In such a study it is to shed light on the life and works of Rad Clive Brown as a person and an anthropologist in the theoretical and practical fields that lead to develop the social anthropology that emerges as the main focus of certain universities

## تمهيد

مما لا شك فيه ان هناك عدة علامات بارزة في تاريخ نشأة علم الانثروبولوجيا الاجتماعية وتطوره ولعل من أهم هذه العلامات ظهور العلامة راد كليف براون وتمكنه من تقديم عدة اسهامات علمية وميدانية رائدة في مجالات الانثروبولوجيا الاجتماعية مما أدى الى دعم هذا الفرع المهم من فروع الانثروبولوجيا وتطويره وترسيخه ومن هنا يتفق كثير من الباحثين في القول بأنه لكي يتعمق الفيلسوف في دراسة الفلسفة فأن عليه الرجوع الى كتابات ارسطو ولكي يتعمق البايولوجي في عمله فان عليه ان يعرف كل شيء عن دراسة الخلية.

## البنائية والنزعة التاريخية (رؤية فلسفية)

ربما كان التضاد الأهم الذي تتحدد به طبيعة البنائية بمزيد من الوضوح هو تضادها الاكبر مع النزعة التاريخية الذي أثاره البنائيون وكان موجها ضد انصار النزعة التاريخية والقوة الدافعة الأولى للتيار البنائي كانت الرغبة في مراجعة التفسير التاريخي مراجعة جذرية ومن هنا كان فهم موقف البنائية من النزعة التاريخية أساسيا في تحديد سماتها فقد كان من الشائع في القرن التاسع عشر بوجه خاص تفسير كل الظواهر من خلال التاريخ فالسابق هو الذي يتحكم دائما في اللاحق والمنشأ الاول لأي ظاهرة ثم مسارها التالي اساسي في فهم طبيعتها الحالية ولقد اتفق على هذه النقطة مفكرون كانوا يختلفون فيما بينهم في مسائل اساسية اذ قدم الينا دارون تفسيراً لتطور الاحياء من منظور تاريخي وعمم سبنسر نظرية دارون من

المجال البيولوجي الى جميع المجالات الاجتماعية والروحية والعلمية والمادية واتخذ (نيتشه) من فكرة التاريخ أساسا لفلسفة كاملة تؤمن بأن للأخلاق والمعرفة والقيم (حتى المنطقية منها) تاريخا وبأن حاضر هذه المعاني لا يفهم الا من خلال ماضيها وطبق ماركس فكرة التاريخ على العلاقات الانتاجية بين البشر في مراحلها المختلفة فقدم الينا نظرية في (المادية التاريخية) تجمع بين تأكيد الشروط المادية والاقتصادية بوجه خاص لتطور المجتمعات البشرية وبين اعطاء اهمية كبرى للعامل التاريخي في هذا التطور بل يمكن القول من وجهة نظر معينة ان العلوم الطبيعية ذاتها كانت تصفي على الفكرة الرئيسة فيها وهي فكرة السببية طابعا تاريخيا أو زمنيا لان السبب كان ينظر اليه على انه (السابق المتكرر او الدائم) والتقطت علوم انسانية كثيرة فكرة التفسير التاريخي فأصبح من الضروري من أجل فهم اية ظاهرة تنتمي الى مجال الحياة الانسانية الرجوع الى سوابقها الماضية وأصبح النقاد الفنيون والادبيون يفسرون عمل الكاتب من خلال تاريخ حياته وينيون نظرتهم الى الفنان على وقائع نفسية أو اجتماعية أو سياسية لها كلها موقع محدد في (التاريخ) اي ان التاريخ أصبح متغلغلا في كل شيء.

ولم يقف هذا التيار التاريخي الطاغى عند حدود القرن التاسع عشر، بل كانت له امتدادات قوية في القرن العشرين وتمثل ذلك في عودة ظهور فكرة "التقدم" التي ترجع الى القرن الثامن عشر وتأكيد وجود اتصال واستمرار تاريخي بين الظواهر فالحاضر كامن في الماضي والمستقبل كامن في الحاضر وهناك خط متصل من التقدم يمتد من أقدم العصور حتى اليوم وبفضله يتحقق انتصار الروح في هذا العصر لان كل عصر وان كان موجودا في حالة كمون «في العصر الذي سبقه يضيف جديدا الى حصيلة التجارب البشرية ويسهم في دفعها الى الامام ولذلك فان اعلى المستويات التي تصل اليها الروح البشرية ستكون في المستقبل ولقد ظهرت محاولات متعددة

للحيلولة دون انتشار هذه النزعة التاريخية الطاغية كان من اشهرها محاولة « باشلار G. Bachelard الذي انكر وجود خط متصل من التقدم في المعرفة العلمية وذهب الى أن تاريخ العلم هو تاريخ اخطاء وعقبات تقف في وجه المعرفة بقدر ما هو تاريخ انجازات ناجحة ولكن البنائية كانت هي التي اوقفت بطريقة حاسمة هذا التيار الطاغية للنزعة التاريخية او على الاقل قضت على ادعائها احتكار القدرة على تفسير الظواهر البشرية فقد استعاضت البنائية عن النظرة الشائعة الى تقدم الروح الانسانية وهي النظرة التي تمثل هذا التقدم على انه تراكم تدريجي لمكتسبات يضاف الجديد منها الى القديم اضافة خارجية بتصور آخر تكون فيه الافكار الجديدة مجرد توسيع لأفكار سبق ظهورها من قبل وان كانت قد اتسمت في البدء بالبساطة والبدائية فالعقل الانساني لا يسير في طريقه بطريقة جيولوجية اذا جاز لنا ان نستخدم هذا التعبير اي انه لا يضيف طبقة من المعرفة فوق طبقة اخرى وانما يسير بطريقة عضوية يعيد فيها تمثل القديم بطريقة أصعب وأعقد ويحتفظ فيها ببنائه القديم وإن كان يدرك خلال تطوره أن هذا البناء الذي كان يعد صحيحا صحة مطلقة في وقت مضى لا يمثل إلا جانبا من الحقيقة هو ذلك الجانب الذي كان عقلنا يستطيع بلوغه في ذلك الوقت.

وفي وسعنا ان نربط بين معارضة البنائية للنزعة التجريبية ومعارضتها للنزعة التاريخية في هذه النقطة بالذات فنقول ان تصور التقدم البشري بانه تراكم تدريجي لمكتسبات تتجدد على الدوام وهو التصور المميز للنزعة التاريخية ينطوي على وجه من أوجه النزعة التجريبية اذ يصبح التقدم عندئذ حصيلة وقائع تجريبية تضاف كل منها الى الاخرى مكونة طبقات متراكمة بعضها فوق بعض وفي مقابل ذلك ترفض البنائية كلتا من النزعتين التاريخية والتجريبية اذ تستعيز عن التصور السابق بتصور آخر يظل فيه العقل البشري متضمنا صور أو قوالب أو عمليات ثابتة وان

كنا لا نكف عن اعادة النظر فيها وعن توسيعها وتعقيدها اي ان كل تقدم يظل محتفظا بالنواة المركزية مع اعادة تفسيره لها وفقا لمقتضيات العصر وهكذا يمكن القول ان نوع التقدم الذي تعترف فيه البنائية هو ذلك الذي يرى ان طريق المستقبل يمر بالماضي وان الوصول الى الغد يتم من خلال مراجعة ما تم بالأمس فالبدور القديمة موجودة دائما وكل ما نفعله هو ان ننميتها بطريقة جديدة والواقع ان كثيرا من الباحثين في تطور الحضارات قد اعترفوا بهذا المبدأ الذي تنادي به البنائية حتى قبل ان تعبر البنائية عن نفسها بوصفها مذهباً فكرياً متميزاً فمنذ وقت بعيد لاحظ مؤرخو الحضارة ان كثيرا من ضروب التفكير العلمي والابداع التكنولوجي التي عرفها العصر الحديث ليست اضافة مطلقة لشيء لم يكن موجوداً من قبل بل هي تنمية لبذرة سبق ظهورها في عصور ماضية وهكذا عرفنا من تاريخ العلم والفلسفة ان نظرية التطور كما ظهرت في القرن التاسع عشر انما هي صياغة جديدة لفكرة نستطيع ان نعدّها من البذور الثابتة في العقل البشري الى ان صيغت بالطريقة الحاسمة على يد دارون ومثل هذا يقال عن فكرة الذرة التي بدأت من عهد ديمقريطس واكتسبت اشكالا متباينة عند فلاسفة الاسلام وفلاسفة الغرب في العصور القديمة والوسطى والحديثة الى ان اتخذت شكلها العلمي في العهد القريب ومن السهل ان ندرك وجود فارق واضح بين هذا الموقف الذي اتخذته البنائية من فكرة التاريخ والتطور وبين الموقف الذي ساد بوجه خاص في الاوساط الفلسفية الفرنسية في اوائل القرن العشرين والذي يؤكد ان العصور اللاحقة تتجاوز تصورات العصور السابقة وقد تمثل هذا الموقف في الفكرة محورا لأبحاثه حيث اكد فيها وجود عقلية قبل المنطقية لدى البدائيين التي اتخذ منها عالم الاجتماع الفرنسي ليفي بريل Levi- Bruhl.

وتمثلت في فكرة مراحل العقل عند ليون برنشفيج التي ينتقل فيها العقل العلمي الانساني من مرحلة الطفولة الى مرحلة النضج هذه الافكار تفترض انتقالا

من الجهل التام الى المرحلة الكاملة وتصور تاريخ العقل البشري بأنه صعود مستمر الى اعلى دون وجود عنصر مشترك بين القديم والحديد وهذا ما ترفضه البنائية لأنها تؤكد مفهوم التوازي<sup>(١)</sup>. بين التصورات القديمة والحديثة فالعقل البشري ينمو في كل الاحوال عن طريق تعميق التفسيرات التي يقدمها للطبيعة وتحويلها من مرحلة التقييد بالمظاهر الخارجية الى مرحلة كشف القوانين الكامنة ولقد اورد سيباج الفرق بين المنهج التاريخي والمنهج البنائي مستمدا من دراسة جورج دوميزيل في مجال علم الاديان المقارن فقد انتهى دوميزيل الى ان كل دين من اديان الشعوب الهند أوربية يتضمن تقسيما ثلاثيا لموضوع العقيدة وان هذا التقسيم يتمثل لدى الجميع وان تفاوتت صوره واختلف في مدى وضوحه ونقائه وهكذا نكتشف من وراء تباين الآلهة والشعائر ووظائف العقيدة في كل حالة تقسيما ثلاثيا واحدا يظل على ما هو عليه مهما تنوعت الحضارات وعلى العكس من ذلك فان النظرة التاريخية الى هذا الموضوع ذاته تستخلص كل شكل من اشكال الالهوية من الواقع الديني الخاص بكل شعب على حدة ولذلك لا تتوصل الا الى دلالات جزئية وتضيع منها التشابهات البنائية الموجودة وراء السطح الظاهري لتعدد العقائد والواقع ان النظرة التاريخية اذا توصلت الى اي نوع من البناء فهي انما تتوصل اليه بعد دراسة مضمينة للجزئيات وللأمثلة الفردية ولن تستطيع رغم ذلك ان تتوصل الى بناء اساسي ولذلك تعكس البنائية الآية فتضع التغيرات التاريخية الجزئية (في اطار) البناء الثابت وتفسرها من خلاله فالتاريخ يدور في اطار البناء ويفسر بواسطته لا العكس والعملية التاريخية الخلاقة لا تفهم الا من خلال البناء الذي ظل موجودا طوال الوف السنين ولذلك يمكن تشبيه العلاقة بين البناء والعملية التاريخية العينية التي تدور في اطاره والتي تضيء الحياة على البناء اللاوعي وتنقله الى مجال الوجود الفعلي - يمكن تشبيهها بالعلاقة بين (الشفرة) والرسائل المختلفة التي نحصل عليها بعد معرفة هذه الشفرة.

## الانثروبولوجيا الاجتماعية

ارتبط اصطلاح الأنثروبولوجيا الاجتماعية بالمدرسة البريطانية ارتباطا داليا اذ لا يغفل الأنثروبولوجي المختص أهمية كل من الأستاذ راد كليف براون والأستاذ مالفينوسكي في تأسيس المدرسة وإرساء قواعدها المنهجية التي لا زالت تعد الى يومنا هذا واحدة من أهم المدارس في الأنثروبولوجيا وأكبرها وقد مر على تأسيسها أكثر من مئة عام من جهة ومفاهيم البناء الاجتماعي والنسق والنظام والتنظيم الاجتماعي والبنائية - الوظيفية.

من جهة أخرى تعبر عن مخيلة الأكاديمي وتصوراته المعرفية لحقل الأنثروبولوجيا بجانبها العلاقتي والسلوكي (أي الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية) وعلى الرغم من الإسهامات التي قدمها تلاميذ المدرسة مثل ليتش وفيرث وبريتشارد في تطوير نظرياتها وتوجهاتها إلا انها بقيت الى يومنا هذا تحتفظ بتلك المسلمات التي ارساها المؤسسان مثل ثبات البناء واتساق النسق والصورة البنائية والتوجه نحو الفاعلين (الأشخاص) وإهمال الأفراد عند التحليل وتشكل الأنثروبولوجيا الاجتماعية الى جانب الأنثروبولوجيا الحضارية والطبيعية محور الأنثروبولوجيا وهذا واضح من دراسة النظم والمجتمعات الطبيعية من اجل تعرف أصولها ومراحل تطورها فإذا كانت الأنثروبولوجيا الطبيعية تبحث في علم أصل الانسان وارتقائه وتمايزه في سلالات فإن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تبحث في تطور الأنساق الاجتماعية وتباينها والعوامل التي تعمل على تشكيل البناء الاجتماعي في نسق معين يتمايز من الأنساق الأخرى فثمة أنساق متباينة للمجتمعات الانسانية يقوم على أداء الادوار فيها انسان تتمايز حضارته وقيمه وعلى هذا يصبح موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية هو المجتمع وما يحتويه من انساق وبنيات وتنظيات

اجتماعية وتشكل النظم والبنى الاجتماعية موضوعات رئيسة في الانثروبولوجيا الاجتماعية بمرحلتها المعاصرة.<sup>(٢)</sup>

### مقاربة نظرية في الانثروبولوجيا الاجتماعية<sup>(٣)</sup>

يمكن البدء بالمحددات التي قدمها الأستاذ راد كليف براون للباحث الانثروبولوجي الاجتماعي عند تفسيره للبناء:

أ. الفائدة من تتابعه اي عند دراسة البناء وتتبع مواقفه في ضوء صيغ القيم التي يتمسك بها المجتمع.

ب. الوعي من وجهة نظر الباحث او القائم بالدراسة لذلك الارتباط الذي يقع بين البناء ونتائجه المحددة اي ان التصور الذي اتخذه اغلب الانثروبولوجيين الاجتماعيين بأنه ما لم نأخذ وجهة نظر الفاعل أي الباحث فإنه لا يمكن تفسير الانساق الاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى تأثير الميكانيزم النفسي الذي يقع خلف الفعل الهادف للفاعل والمتركب ضمن حقول معرفية مختلفة التي ليست مجال اهتمام الباحث الانثروبولوجي فقط اي اننا غير مهتمين بأن نكرر فهمنا للانساق وانما الاهتمام يتجه نحو فهم الثقافات والمجتمعات المختلفة بوصفها المعتمدة على الميكانيزم الذي يقع خلف الفعل الهادف عند ربط السلوك بالانساق القيمة التصورية الاستقراء البسيط للتوجهات النظرية في الانثروبولوجيا الاجتماعية توضح مجموعة من المقاربات النظرية وكما يأتي:

١. اتجه فريق من الباحثين نحو دراسة النسق فالذي يحكم السلوك الانساني (كالنسق السياسي او القرابي او الاقتصادي) تحت اصطلاح القواعد القانونية المقررة

اجتماعياً الملزمة لأعضاء النسق أي يشمل تلك الافكار المتعلقة بالالتزامات والحقوق المتداخلة بين الاشخاص والتي تقرها قيم الثقافة والموظفة بشكل واضح في نسق القرابة بوصفه الممثل الشرعي لقواعد السلوك بل توجيهه أيضا في ضوء الاعراف السائدة اي دراسات البنائية الوظيفية التقليدية في المدرسة البريطانية وتحت الاصطلاح الاكاديمي المعروف (بالبناء الاجتماعي).

٢. وذهب فريق آخر من الباحثين الانثروبولوجيين الى الاهتمام بالنسق المتعلق بأصناف المعرفة عند توجيه منهجية بحوثهم نحو دراسة العمليات المعرفية الاساسية للذهن (العقل) لا سيما تصوير القواعد القانونية في مراكز وفي جماعات اجتماعية، وخير ما نجدها عند المركز الذي يتمتع به الشيخ او الأب وسلطته في نظام النسب الأبوي او في جماعات الفخذ والجيرة والزمرة الاجتماعية.

هذه هي أهم المقاربات النظرية في الانثروبولوجيا الاجتماعية التي توصل اليها الباحث في دراسته الحالية.

## مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية

كان علماء الانثروبولوجيا الأولون يقولون إن اهتمامهم منحصر في (كل ما يخص الإنسان) فلم يتنبؤوا بأن مجال الدراسات التي تفسر تاريخ الإنسان وسلوكه الاجتماعي وصفاته البيولوجية والفيزيولوجية سيتسع بحيث لا يمكن للفرد الواحد أن يلم بهذا الميدان الواسع كله. فهناك اليوم آراء مختلفة عن افضل طريقة لتجميع هذه الموضوعات، فالبعض يؤمن (بتكامل جميع الدراسات الأنثروبولوجية) وهذا معناه من الناحية العملية والتطبيقية الاحتفاظ (مع إضافة موضوع واحد آخر) بالمجموعة

التي كانت سنة ١٨١٣ Royal Anthropological Institute تكون (علم الانسان) عندما تأسس المعهد الأنثروبولوجي الملكي فبالنسبة لدعاة هذه المدرسة يجب ربط الانثروبولوجيا الاجتماعية بالأنثروبولوجيا الطبيعية أو تصنيف البشرية الى اجناس وربطها بعلم الآثار أي دراسة الآثار المدفونة للمجتمعات القديمة وباللغويات وهي دراسة أسس اللغة وقواعدها العامة ولما كانت كل هذه الدراسات قد تحولت الى تخصصات منفصلة مع ظهور فروع جديدة للعلوم الاجتماعية فقد فضل بعض العلماء ربط الأنثروبولوجيا الطبيعية بالدراسات البيولوجية وعلى أية حال فإن مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد اتسع بحيث يصعب على كثير من الناس أن يصبحوا مختصين في وقت واحد في الأنثروبولوجيا الاجتماعية وفي أي فرع آخر من فروع الأنثروبولوجيا الاجتماعية بالمعنى الواسع فعلى كل عالم من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية أن يتكلم لغة الناس الذين يعمل معهم إلا أن القليلين هم الذين يستطيعون دراسة اللغويات دراسة وافية.<sup>(٤)</sup>

ان أقرب العلوم الاجتماعية إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية هو علم الاجتماع كما سبق ان اوضحنا. إلا ان هناك آراء مختلفة ومتباينة عن العلاقة بينهما فكل منهما يدعي لنفسه دراسة (المجتمع) كله وليس جانباً واحداً منه مثل الاقتصاد او السياسة إن علم الاجتماع أقدم كثيراً من الانثروبولوجيا الاجتماعية. فقد بدأ على يد اوگست كومنت Auguste Comte (١٧٩٨ - ١٨٥٧) في فرنسا وهربرت سبنسر (١٨٣٠ - ١٩٠٣) في إنجلترا أما الرجلان اللذان يعدان مؤسسي للتراث البريطاني في الانثروبولوجيا الاجتماعية وهما مالينوفسكي Malinowski وراد كليف براون Radcliffe Brown (ولاسيما راد كليف) فقد نهلا من أفكار علماء الاجتماع الفرنسيين في أواخر القرن التاسع عشر.

## راد كليف براون المفكر والمبدع

عالم انكليزي من اساتذته المشهورين العالم (هادون) والعالم (ريفرز) ومع ذلك فقد كانت ميوله أقرب الى مدرسة العالم (اميل دوركهايم) قام (راد كليف براون) بالتدريس في جامعة سدني الاسترالية وكذلك في افريقيا الجنوبية وفي جامعة شيكاغو ان هذا العالم يختلف عن العالم موس Mauss وعن العالم (ليفى برول) بكونه أجرى بعض البحوث الميدانية عن الجماعات البسيطة في جزر الاندماند في جزيرة البنغال ويهمننا ان نشير الى ان بحثه هذا اقتصر على التعميمات العامة دون الاشارة الى كيفية جمع المعلومات والاحباريين الذين اعتمد عليهم في أثناء إجرائه البحث وغيرها من اجراءات البحث الحقلية لقد اتصفت اعمال العالم (براون) بأنها ذات بعدين الاول تضمن توجيهاته وآرائه المنهجية والبعد الثاني يتكون من المطبوعات الميدانية التي قدمها ولكنها في الحقيقة تعتبر أقل بكثير من تصريحاته النظرية.

وكما ذكرنا سابقا انه اهتدى بأراء (دوركهايم) من دون اي تغيير وقد اعتقد بأن الانثروبولوجيا الاجتماعية هي ليست اكثر من (علم اجتماع مقارن) وقد شدد على القوانين باعتبارها هدف هذا العلم ويفرق براون بين الانثروبولوجيا وبين التاريخ باعتبار ان التاريخ يهمل القوانين ويصف الاحداث في خصوصيتها الاقليمية والزمانية. ويتفق في بعض المواقف مع كل من العالم (فرانز بواس) والعالم (مالينوفسكي) خصوصا حول الرأي القائل بأن الحضارة تمثل وحدة نسقية متكاملة ترابط عناصرها بعضها ببعض في كل متماسك. ويعد العالم (راد كليف براون) احد زعماء المدرسة البنائية الوظيفية لذا يعتقد ان فكرة الوظيفية التي تطبق على المجتمعات الانسانية تقوم على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية وهو يتبع تعريف (دوركهايم) لوظيفة النظام الاجتماعي بأنها التناظر بين النظام

الاجتماعي والشروط الضرورية لوجود الكائن العضوي الاجتماعي فالوظيفة هي الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في النشاط الكلي ووظيفة أي عادة اجتماعية جزئية هي الدور الذي تلعبه هذه العادة في الحياة الاجتماعية كلها باعتبار هذه الحياة هي عماد النسق الاجتماعي الكلي ويذكر (براون) أيضاً عن (التكامل الاجتماعي) هو افتراض على ان وظيفة الثقافة هي ربط أفراد الكائنات البشرية وتوحيدهم في أبنية اجتماعية تتمتع بدرجة معينة من الثبات والاستقرار أي في أساق ثابتة تتألف من جماعات تحدد علاقة هؤلاء الافراد بعضهم ببعض وتنظمها ولذا اعتقد (براون) ان هذا الافتراض مهم في كل دراسة علمية موضوعية للثقافة أو للمجتمع الانساني أن استخدامات مفهومات (البناء الاجتماعي) و (النسق الاجتماعي) و (الوظيفة الاجتماعية) بحسب تعريفات العالم (راد كليف براون) ساعد مساعدة كبيرة في تحديد مشكلات الدراسة الحقلية<sup>(٥)</sup>.

ولقد كانت جامعة كمبردج حينئذ مرتبطة وبدرجة كبيرة بمجموعة من كبار الاساتذة امثال مايرز mayers هادون haddon ريفرز rivers ولقد كان هؤلاء الأساتذة من بين أعضاء بعثة كمبردج لمضايق توريس في عام ١٨٩٨ ، ولقد قدر لكل من مايرز و ريفرز أن يدرسان راد كليف براون وبهذه الجامعة دراسات في الأنثروبولوجيا وعلم النفس وفلسفة العلوم بالاضافة الى دراسات أخرى من طبيعة ادبية وسياسية<sup>(٦)</sup>.

لقد استطاع هؤلاء الأساتذة الثلاث أن يؤثروا في اتجاهات وميول راد كليف براون العلمية وفي توجهاته النظرية فلقد لقن مايرز راد كليف براون طرق البحث العلمي المعقدة بينما حرص كل من هادون و ريفرز على جذب انتباهه الى مادة الأنثروبولوجيا واستطاعا أن يشكلا اتجاهاته البحثية المبكرة. أما هادون فقد استطاع

أن يراعاه بحماس وأن ينمي فيه فطنة النقد الذاتي وكذا وجوب اهتمامه بالتصنيف العلمي وبالأنثروبولوجيا مع تشجيعه على اجراء البحث بشكل موضوعي دقيق بعيداً عن أي شكل من أشكال التحيز الشخصي أو الخطأ العلمي ولهذا فإن هناك من يعتقد بأن هادون كان أول من صنع معرفة راد كليف براون النقدية الأولى وخاصة فيما يتعلق بحقيقة الارتباط القائم بين الظواهر الاجتماعية وهو الذي وجهه أيضاً للتألف مع فكر دروكهايم وأرائه والاطلاع عليه وبالرغم من ان راد كليف براون كان قد تتلمذ على ايدي الكثيرين من مشاهير العلماء والأنثروبولوجيين الا انه كان في حقيقة الامر يعترف بانه كان متأثراً وبدرجة كبيرة وفي مجمل افكاره بآراء ونظريات اميل دوركيم، وعليه فانه كان يعد نفسه احد أعضاء مدرسة دروكهايم كما انه من المعروف أيضاً انه كان متأثراً كذلك بأفكار ونظريات كل من العلامة مونتسكيو والعلامة أوجست كومت Comt.

هذا ولقد توفي راد كليف براون بعد أن حقق العديد من الاسهامات الأكاديمية النظرية والحقلية وبعد توليه للمناصب العلمية المهمة في عام ١٩٥٥، توفي وهو يؤمن ايماناً راسخاً بأهمية فرع الانثروبولوجيا الاجتماعية وبضرورة زيادة ترسخه وانتشاره بوصفه علماً اجتماعياً جديداً وذلك بعد ان ادى دوراً بارزاً للوصول الى هذه الغاية ولقد استطاع راد كليف براون بعد هذه الحياة العلمية الحافلة أن يخلف من بعده عدداً من تلاميذه الذين ساروا على دربه وكان من اهمهم في الولايات المتحدة الامريكية وليام وارنر وفي بريطانيا ايفانز بريتشارد وجون امبري كان قد زار راد كليف براون في مرضه العالم Firth حيث بادره بالسؤال عما يتمنى ان يقرأه في الفترات القادمة فرد عليه بأن اعلى ما يتمناه هو ان يقرأ شيئاً قريباً عن حدوث تقدم نظري وميداني حقيقي جديد في نطاق علم الانثروبولوجيا الاجتماعية.

## أهم أعماله البحثية الحقلية

تعتبر من أهم الاعمال البحثية الحقلية التي اجراها راد كليف براون في اثناء حياته واتمها بنفسه دراسته عن جزر الاندمان وسكانها التي نشرت بعنوان The Andaman Islanders.

ولقد اجريت هذه الدراسة الحقلية المهمة في عام ١٩٠٦ واستطاع ان يستكملها في عام ١٩٠٨ ولقد اكتسبت هذه الدراسة وفي حقيقة الأمر شهرة علمية عالمية وأهمية كبرى سواء في مجال العلوم الانسانية عامة أو في مجال الدراسات الانسانية الانثروبولوجية خاصة كما ان هذه الدراسة الحقلية الرائدة كانت في حقيقة الأمر تطبيقا عمليا على الواقع الفعلي للمجتمعات البدائية لما كان يؤمن به راد كليف براون من أفكار ونظريات مرتبطة بالأنثروبولوجيا الاجتماعية كما ان هذه الدراسة الحقلية التي استطاعت أن تؤثر فيما بعد في الاتجاهات والدراسات التي اجريت في نطاق الانثروبولوجيا الاجتماعية كانت قد تركت آثارا نظرية ومنهجية مهمة في مختلف مجالات هذا العلم فلقد اخذت الدراسات اللاحقة تتجه وبالتدرج نحو التركيز والقاء الضوء على كافة جوانب الحياة القائمة في المجتمعات البدائية.

ولهذا فأن هذه الدراسة تعد بحق أول محاولة يقوم بها أحد علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية لفحص النظريات الاجتماعية المداولة بالرجوع الى الدراسة الفعلية لمجتمع بدائي معين لوصف الحياة الاجتماعية في ذلك المجتمع بطريقة تبرز بوضوح النواحي التي تتطابق أو تختلف مع هذه النظريات وربما كان لهذه الدراسة من هذه الناحية أهمية في تاريخ الانثروبولوجيا الاجتماعية تفوق أهمية الرحلة الى مضايق توريس والتي كان افرادها يهتمون فيها بالمشكلات الاثنولوجية والسيكولوجية أكثر من اهتمامهم بالنواحي الاجتماعية.<sup>(٧)</sup>

هذا وتقع جزر الاندمان في المحيط الهندي بالقرب من الهند وسومطرة وذلك على بعد سبعمائة ميل كانت هذه الجزر واقعة وقت اجراء هذا البحث الحقلية تحت سيطرة الحكم الهندي وكان عدد السكان في هذه الجزيرة وقتئذ يبلغ حوالي أقل من ألفين نسمة ولقد اخذ عددهم في التناقص فيما بعد، بعد ان كان قد بلغ من قبل ذلك حوالي خمسة الآف نسمة ويرجع هذا التناقص في المقام الاول الى انتشار كثير من الأمراض وسط سكان هذه الجزر مما احدث حالة من الابداء الجماعية فيما بينهم نتيجة لتدهور صحتهم وانتشار الاوبئة المختلفة التي ترتبت أصلا عن سوء حكم هذه الجزر وإدارتها التي كانت تتكون من عدة جزر كبرى وعدة جزر صغرى ولقد قدم راد كليف براون دراسته الحقلية هذه وبعد ان اتمها لجامعة كمبردج في عام ١٩٢٢ حيث بدأ بعد ذلك بنشرها وعرض نتائجها في شكل كتاب ضخيم ومن الناحية المنهجية فلقد اعتمد في اجرائه لهذه الدراسة الحقلية على عدة ادوات بحث انثروبولوجية استطاع أن يستخدم بعضها لأول مرة في اجراء هذه الدراسة ولعل من أهم هذه الأدوات المنهجية التي استخدمها المعاشية والاختلاط بالأهالي السكان الأصليين لهذه الجزر بالإضافة الى الاطلاع على التقارير التي كان قد كتبها بعض الرحالة والحكام وبعض الكتاب البريطانيين أمثال مستر مان ومستر بورتمان ولقد اعتمد راد كليف براون بشكل ظاهر على استخدامه الملاحظة بالمشاركة أداة رئيسة من بين أدوات البحث واعتمد في مخاطبته لسكان هذه الجزر على مترجم كان يعرف لغة الاهالي واستعان ببعض الاخباريين الموثوق بهم وذلك مع حرصه الشديد على الاختلاط بالأهالي ومعايشة نظمهم العامة هذا ولقد قسم راد كليف براون كتابه سالف الذكر الى ستة فصول فضلا عن المقدمة ولقد جاءت المقدمة محتوية على اظهار لبعض المعالم الرئيسة الخاصة بالجزر المحبوسة وخاصة من حيث ابعادها الجغرافية والبيئية وعدد سكانها وتاريخ دخول الاستعمار البريطاني اليها

ولقد جاء الفصل الأول عن التنظيم الاجتماعي وجاء الفصل الثاني عن العادات المرتبطة بالشعائر المعروفة والمقدسة لدى سكان جزر الاندمان وجاء الفصل الثالث مشتملا على المعتقدات الدينية والسحر السائد لدى سكان هذه الجزر وجاء الفصل الرابع عن الاساطير المنتشرة هناك في حين كان الفصل الخامس عن تفسيراته لبعض العادات والمعتقدات واما الفصل السادس والأخير فلقد كان عن تفسير الأساطير وفي الحقيقة فانه يبدو جليا ان راد كليف براون قد حرص في هذا الكتاب على أن يعطي صورة شاملة ودقيقة لأهم جوانب الحياة الاجتماعية القائمة بين سكان هذه الجزر كما انه قد حرص أيضا على وصف ما يراه وما يلاحظه من وقائع وظواهر اجتماعية أولا ثم يقوم بعد ذلك بتحليلها ومحاولة تفسيرها وفهمها فهما موضوعيا علميا دقيقا وفي ضوء الأحوال والظروف الاجتماعية والاقتصادية العامة السائدة في هذه الجزر ويلاحظ ايضا انه في تفسيراته تلك لم يأخذ بالسبب الواحد وانما اخذ يبحث عن جملة العوامل والاسباب التي تؤدي الى وقوع الظواهر والوقائع الاجتماعية التي شاهدها ولاحظها في اثناء دراسته ومعنى هذا ان راد كلف براون كان قد اعتمد في وضعه لهذا الكتاب على دعمتين اساسيتين او على محورين رئيسيين.

ولقد كان المحور الاول هو اهتمامه بإجراء حصر ووصف شامل لما لاحظته وشاهده في مجتمع بحثه واما المحور الثاني فكان هو محاولته الواضحة في تفسير وتحليل كل ما لاحظته وشاهده تفسيريا وتحليلا علميين ومن هنا فلقد جاءت فصول هذا الكتاب كلها مترابطة بعضها ببعض بحيث تعطي لنا في النهاية صورة شبه كاملة عن نمط الحياة الاجتماعية السائدة لدى سكان الاندمان ولهذا ففي الفصل الاول نجد ان الباحث يهتم بإعطاء صورة واضحة ومفصلة عن اشكال التنظيم الاجتماعي السائد في هذه الجزر وقدم لنا عرضا دقيقا لنظم الزواج والملكية. وفي الفصل الثاني ركز على وصف بعض الممارسات والعادات والشعائر الدينية المهمة التي تحتل مكانة

مقدسة في نفوس السكان مثل حفلات التكريس ومناسبات الزواج والوفاة والميلاد وفي الفصل الثالث يقوم المؤلف بعرض اهم المعتقدات المتعلقة بأشكال الدين والسحر المنتشرة وفي الفصل الرابع اهتم المؤلف بحصر انواع الاساطير والخرافات السائدة ومدى ارتباطها بالبيئة الاجتماعية والجغرافية واما الفصل الخامس فلقد حرص المؤلف على تحليل وتفسير مختلف اشكال المعتقدات والعادات ولقد حرص الباحث على تفهم مختلف الأساطير وشرحها التي سبق ذكرها في الفصل الرابع.<sup>(٨)</sup>

هذا ومن الملاحظ ان راد كليف براون كان قد حرص في عرضه لهذا الكتاب على جمع كل ما هو واقعي وحقيقي وقائم في نطاق مجتمع بحثه وانه تطبيق لهذا المبدأ نجده ينبذ في اصرار الاعتماد على استخدام التاريخ والظن أو الافتراضات النظرية وكان قد نبذ في هذا الكتاب المعلومات أو الكتابات الكلية النظرية والمطلقة التي سبق ان اعتمد عليها غيره من علماء الانثروبولوجيا في وصف ودراسة المجتمعات البدائية الاخرى. وراد كليف براون كما هو ثابت من محتويات كتابه كان قد حرص على وصف كل ما رآه وشاهده في مجتمع الاندمان وفسره كما انه لم يجمع الحقائق التي شاهدها فقط ولكنه حرص أيضا على تحليلها وتفسيرها تفسيراً علمياً ومما يلاحظ على هذه الدراسة الميدانية المهمة أن الباحث كان قد تحاشى فيها دراسة أفكار الاندمايين المتعلقة بالجنس وممارسته وبذلك وكما يقول هو نفسه فقد ترك فراغاً كبيراً في هذه الدراسة نتيجة لذلك ولعله يمكن تفسير هذا النقص في الدراسة فيما حاول ان يظهره الباحث تبريراً لهذه الثغرة المهمة فالأهالي كانوا يبدون حياءً شديداً عند حديثهم مع المستوطنين من البيض ويحرصون على تجنب أية إشارة الى المسائل الجنسية وفي الحقيقة فلقد كان موقف الباحث سالف الذكر بالنسبة لعدم دراسته للمسائل الجنسية لدى الاندمان مخالفاً لمواقف معظم العلماء واتجاهاتهم.

ومن علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الذين ركزوا على دراسة الجنس وتتبع معامله في نطاق الحياة الاجتماعية البدائية العالم مالينوفسكي Malinowski في كتابه عن الحياة الجنسية لدى البدائيين وكذا ريموند فيرث لكتابه We the Tikopia.

ومن أهم ما يلاحظ على هذا الكتاب ان صاحبه حرص تماما على ان يتوخى الدقة العلمية في شتى جوانبه، ولهذا جاءت كتاباته بعيدة عن المبالغة أو التهويل أو وكانت بعيدة عن الافكار والآراء الوصفية المطلقة أو الكلية غير الدقيقة التي كانت في حقيقة الأمر تعبر عن آراء اصحابها أكثر من تعبيرها عن الواقع والحقيقة ولهذا جاءت النتائج العامة التي تمخض عنها هذا البحث الحقلّي مطابقة الى حد كبير للحقيقة والواقع وبعيدة عن تلك الكتابات النظرية المجردة والذاتية التي كانت منتشرة وقتئذ عن المجتمعات البدائية والتي شهدتها الانثروبولوجيا الاجتماعية في فترات نموها الاولى.

هذا ويمكن اجمال هذه النتائج في انها جاءت متصلة بعدد من نواحي الحياة الاجتماعية المهمة عند الاندمان مثل الزواج، الانحلال، والأخلاق، والموت وشعائر الجنائزات، واجراءات الدفن، والأساطير السائدة لدى السكان، مع تقديم عرض لأهم النقاط التي تدور حولها هذه النقاط. (أصل الجنس البشري - أصل الشمس - كيفية حصول الاسلاف على النار - الموت - الوحوش والطيور - تشريط الجلد الانسان - كيفية ارتكاب اول جريمة قتل) وحرص على تفسير الوقائع والظواهر الاجتماعية القائمة في مجتمع البحث في ضوء العوامل الاجتماعية المتعددة المفسرة والموجدة لها. هذا ولقد خلص راد كليف براون من خلال دراسته هذه الى عدد من النتائج والملاحظات المتعلقة بالحياة الاجتماعية لدى سكان جزر الأندمان، ولعل من أهم هذه النتائج والملاحظات:

١. نقص المقومات الأساسية اللازمة لوجود القانون
٢. وجود التبادل الدائم للهدايا بين الأفراد وفقا للقواعد المحددة التي تتبع أصلا من القيم الاجتماعية للاندمان ووفقا لتوقعاتهم لرد هذه الهدايا.
٣. غياب ظاهرة تقسيم العمل الا في مجالات محدودة مثل وقوع هذا التقسيم وفقا لنوع الجنس.
٤. وعلى النقيض لأغلب المجتمعات البدائية، فان سكان هذه الجزر لا يقيمون نظما أو قواعد طبقية لتنظيم علاقاتهم، فهم وعلى سبيل المثال يستخدمون طرقا معينة للتحدث عندما يكون المستمع أكبر سنا من المتحدث، كما ان معاملة الرجل لشقيقه الاكبر سنا تكون متشابهة تماما لمعاملة أي فرد يكون في نفس سن أخيه وعلى هذا فإن مقياس السن يعد لدى سكان الأندمان مقياسا لتحديد المكانة الاجتماعية عندهم.

واما عن الدراسة الثانية التي كان قد أجراها راد كليف براون عن قبائل استراليا واصدرها في كتابه -التنظيم الاجتماعي للقبائل الاسترالية- في عام ١٩٣١ فانه يمكن القول بأنه قد ركز من خلالها على دراسة المحاور الآتية في نمط الحياة الاجتماعية القائمة هناك اسم القبيلة موقع القبيلة - اللغة السائدة لدى القبائل -المساحة المكانية التي تحتلها كل قبيلة الأصول الوراثية للقبائل - كيفية تحديد العضوية للفرد داخل كل معشر.

ومن الملاحظ ان الباحث من خلال دراسته لهذه النقاط المترابطة قد حرص على تكوين فكرة شاملة عن حياة قبائل استراليا وقد أظهرت مدى قدرته بوصفه باحثا انثروبولوجيا دقيقا بالإضافة إلى كونه ملاحظا علميا بالدرجة الأولى كما ان الكيفية التي استخدمها في اجراء هذه الدراسة قد أدت في الحقيقة الى دعم الانثروبولوجيا

الاجتماعية والمناهج المستخدمة فيها واطهارها فرعا علميا دقيقا يرقى الى مستوى العلوم المستقلة ولقد قسم راد كليف براون في دراسته هذه عن استراليا مجتمع بحثه على خمسين منطقة كل منطقة منها تحتوي على عدة عناصر سلالية محددة من سكان استراليا ولقد درس هذه القبائل بشكل مفصل ودقيق وذلك من خلال استخدام المنهج الوظيفي واذا كان مالمينوفسكي عند دراسته لمجتمع التروبريان قد حرص على تعميم نتائجه التي توصل اليها على المجتمعات الاخرى فإننا نجد ان راد كليف براون لم يتبع الطريقة نفسها حيث كان أكثر دقة منه فلم يحاول تطبيق نتائجه على باقي المجتمعات الانسانية.<sup>(٩)</sup>

وفي دراسته لقبائل استراليا وجد راد كليف براون ان نظام القرابة انما يمثل أهم النظم الاجتماعية التي توجد في قارة استراليا حيث تبين له ان هذا النظام يشكل الى حد كبير نوعية العلاقات الاجتماعية السائدة في تيار الحياة الاجتماعية هناك واطهرت هذه الدراسة أن القبائل الاسترالية متماثلة الى حد كبير فيما بينها لاسيما في طبيعة التكوين ونوعيته وشكل البناء الاجتماعي القائم فيها وتبين أيضا أن ما قد يوجد بين مناطق استراليا المتعددة من اختلافات في النظم أو العلاقات الاجتماعية لا تعتبر اختلافات جذرية بقدر اعتبارها تغيرات سطحية ومتعددة لشكل واحد فقط.

ومما لاشك فيه ان هذه الدراسة الميدانية تعد ذات قيمة نظرية عالية، وذلك في ضوء ما افرزته من نتائج واسهامات نظرية عادت بالتقدم والخير على بحوث الانثروبولوجيا الاجتماعية حيث حرصت هذه الدراسة على تقديم تحليل دقيق لطبيعة ونوعية الحياة الاجتماعية لقبائل استراليا، ولقد اعتمد في اجرائها على عدد من المصادر مثل الدراسات السابقة المنشورة التي صدرت عن الباحثين السابقين.

ان هذه الدراسة الميدانية قد نجحت في تحقيق اهدافها المرجوة منها وخاصة في تقديم تصنيف لمختلف أشكال المنظمات الاجتماعية القائمة في تيار الحياة الاجتماعية لقبائل استراليا فضلا عن نجاح هذه الدراسة في الوصول الى العديد من الملاحظات والاستنتاجات العامة.<sup>(١٠)</sup>

### دراسات في البناء الاجتماعي<sup>(١١)</sup>

سبق ان ذكرت ان هناك عدة عوامل اجتماعية ونفسية محددة قد ادت في الحقيقة الى ان يكون الانتاج العلمي الذي افرزه لنا راد كليف براون قليلا ومحدود النطاق وان كان متميزاً بالدقة العلمية وبالأصالة الفكرية المتخصصة وبالرغبة الطموحة لأحداث تقدم حقيقي في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية وبصفة عامة فإنه يمكن القول إن من أهم مؤلفات راد كليف براون ما يلي:

١. سكان جزر الاندمان وقد نشرت في عام ١٩٢٢ the Andaman islanders.
٢. التنظيم الاجتماعي لبعض القبائل الاسترالية، ولقد نشرت في عام ١٩٣١ Social Organization of Australian tribes.
٣. البناء والوظيفية في المجتمع البدائي، ولقد نشر في عام ١٩٥٤ Structure and Function in primitive society.
٤. العلم الطبيعي للمجتمع ولقد نشر في عام ١٩٥٧ أي بعد وفاته وهو عبارة عن موجز عام لأفكاره عن الاطر المنهجية في الانثروبولوجيا natural science of society 3.
٥. طرق في الانثروبولوجيا الاجتماعية ولقد نشر في عام ١٩٥٨ Method in social anthropology.

٦. انساق القرابة والزواج في افريقيا ولقد نشر في عام ١٩٥٠. African system .of kinship and Marriage

اما أهم دراسات مدرسة لندن للاقتصاد وأوكسفورد بتوظيف هذا المفهوم فهي:

١. شعوب الخوسا في جنوب قارة افريقيا ١٩٣٠ أيزك شبيرا.
٢. الجوع والعمل في قبيلة وحشية: دراسة وظيفية للتغذية عند بانتو الجنوب اودري ريجاد ١٩٣١ ودراسة قبيلة بيمبا ١٩٣٩.
٣. تيكوبيا (جنوب شرق جزر السولومون) عام ١٩٣٦ وصيدو الأسماك في الملايو ١٩٣٨ ريموند فيرث.
٤. السحر الضار عند الازاندة ١٩٣٧ والنوير ١٩٤٠ بريشارد.
٥. ناس او شعوب افريقيا ١٩٣٤ والشعوب المحلية عام ١٩٣٦ لوسي مير...
٦. ديناميكيات العشيرة عند التالسي مايير فورتس ١٩٤٥.
٧. الاقتصاديات المحلية في نيجيريا ١٩٤٦ داريل فورد.
٨. النوبا عام ١٩٤٧ وديانة النوبا عام ١٩٥٤ سكفرد نادل.
٩. الطقوس الدينية لجماعات الجنوب الشرقي لافريقيا ماكس كلوكان ١٩٥٤.
١٠. الانساق السياسية لمرتفعات بورما السير ادموند ليتش ١٩٥٤
١١. شعوب بحيرات نياسا (في موزمبيق) ١٩٥٠ ماري دوكلاس.
١٢. مونيكاهنتر ولسن الطقوس والقرابة في النياكيوسا ١٩٥٧ في الجنوب الغربي من تنزانيا.

وهناك كثير من الدراسات التي لا مجال الى ذكرها...

ان الانتقال الذي حدث مع نهاية عقد الخمسينيات وبداية الستينيات للقرن الماضي ولا سيما فيما يعرف بالتحويلات او بشكل اكثر وضوحاً الثورات التحررية كما يزعمون التي عملت على وضع مفهوم البناء الاجتماعي على المحك نتيجة التساؤلات التي بدأ الاثروبولوجي بتقديمها التي سترد لاحقاً مما قاد المدرسة البريطانية الى التمعن والوقوف بشكل حازم امام هذه التحويلات ولكن بشكل اكايمي ومخطط له الى ابعد الحدود يمكن بيانها في خطين ساد الاول على مستوى البلدان المتحررة نفسها او تلك التي تنضوي تحت لواء العالم الثالث والنامية وما الى ذلك من المسميات... وذلك من خلال تطعيم او جذب المجتهدين لدراسة الاثروبولوجيا في الجامعات البريطانية فظهرت الاثروبولوجيا البنائية الوظيفية في تركيا ومصر والعراق والسودان واليمن اضافة الى ايران والهند والباكستان وكلها تسير على خط البناء الاجتماعي مثل نور يلمان التركي عند دراسة الطبقة والقرابة والزواج في سيلان عام ١٩٦٥ واحمد ابو زيد للوحدات الخارجة ١٩٥٥ والجبايش لشاكر مصطفى سليم ١٩٥٧... التي لا زالت تأثيراتها الى حد الآن.

اما الخط الثاني فقد ظهرت توجهات جديدة عملت على التعديل او التحديد الدقيق لموضوعات الدراسة وضمن مفهوم البناء الاجتماعي مثل: تحول ماري دوكلاس من دراسة شعب النياسا بنائيا اجتماعيا الى قبائل ليل ولكن من جانب الرموز والسحر مثل المحرمات والتلوث عام ١٩٦٦ والرموز الطبيعية عام ١٩٧٠ ومعاني المضمون عام ١٩٧٥ تحول رايموند فيرث من التيكوبيا الى الطقوس والرموز الخاصة والعامة لا سيما في كتابة الرموز الخاصة والعامة عام ١٩٧٢، ماير فورتنس من ديناميكيات التالسي ١٩٤٥ الى القرابة والنظام الاجتماعي عام ١٩٦٩ والزمن والبناء الاجتماعي عام ١٩٧٠، ارينست كينلر فيلسوف اول الامر ولكن ما لبث ان تحول الى الاثروبولوجيا الاجتماعية ليكتب المجتمع المسلم عام ١٩٨١ معتمدا على

نظرية البدنة والمصاهرة التي عرضها بريشارد وكتب أيضا عن القرابة عام ١٩٨٦، جاك كودي كتب عن التنظيم الاجتماعي عام ١٩٥٨ وكتب عن الموت والممتلكات والاسلاف دراسة للأعراف لمجتمعات غرب افريقيا ١٩٦٢ ثم التكنولوجيا والتقاليد والدولة في افريقيا عام ١٩٧٢ وخصائص القرابة ١٩٧٣، دون كالب عن تأثير شركة الإلكترونيات فيليبس على الحياة اليومية والبناء الاجتماعي عام ١٩٩٧، ثروة العروسة والزواج في جنوب افريقيا ١٩٨٢ والزنا بالمحارم Wives for Cattle آدم كوبر كتب عن زوجات الماشية والنفوذ - الحياة الخاصة لإنكلترا البرجوازية ٢٠٠٩ ادموند ليتش من النظم السياسية لمرتفعات بورما ١٩٥٧ الى خرافة سفر التكوين عام ١٩٦٩ وكتابات تحليلية للبنوية بدأت مع عقد السبعينيات.

### بعض الاسهامات النظرية وأسس الدراسة عند راد كليف براون

يمكن القول إن راد كليف براون قد قدم لنا العديد من الاسهامات النظرية المتعمقة التي أفادت العلوم الاجتماعية عامة وعلمي الاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية خاصة ومن الثابت انه كان قد استطاع ان يشكل بداية تكوينه النظري مبكرا في عام ١٩٠٨ وبعد أن تخرج من الجامعة وسوف أعرض في الفقرة القادمة لبعض اسهاماته النظرية:

١. حرص راد كليف براون وفي أول الأمر على تحديد متطلبات وأسس العلم الاجتماعي والتي تعمل على دعم علم دراسة المجتمع وتعتبر دعائم أساسية لترسيخه ولقد انحصرت هذه الأسس عنده في ثلاث فهو يرى انه لكي يتمكن الباحث من دراسة الظواهر الاجتماعية لحقائق ثابتة وواقعة فعلا في نطاق المجتمع فان عليه مهمة ذاتية مهمة وهي ضرورة سعيه للكشف عن تلك

الظواهر الاجتماعية وما يحيط بها من ظروف وأحوال ثم السعي بعد ذلك لتعرف القوانين التي تحكم هذه الظواهر ورأى ضرورة العمل على تثبيت طرق البحث المعروفة في نطاق العلوم الطبيعية حتى يمكن الاستفادة منها عند دراسة الظواهر الاجتماعية التي تشابه عنده مع الظواهر الطبيعية ويرى أخيرا اننا نستطيع ومن خلال ذلك كله التوصل الى تلك التصميمات والنتائج الكلية التي نستطيع اختبارها وتعرف مدى صحتها

ومن الثابت أن راد كليف براون كان قد تمسك بهذه الأسس النظرية الثلاث عند النظر الى الظواهر الاجتماعية ودراستها وتعرفها كما انه لم يحاول الحيد عنها وذلك بالرغم من تزايد تطور آرائه فيما بعد ومن الثابت أيضا ان هذه القواعد والأسس العلمية هي التي سار عليها راد كليف براون من قبل وعند اجراء دراساته الميدانية عن سكان جزر الاندمان ١٩٠٦ وعن أمهات الأخوة في جنوب افريقيا ١٩٢٤ وان كان يمكن القول بان آراءه التقليدية هذه قد جاءت متأخرة بستين في أبحاثه عن فكرة ووظيفة العلم الاجتماعي ١٩٣٥ البناء الاجتماعي ١٩٤٠ وكذلك في دراسته الثالثة التي طبق فيها اتجاهاته النظرية عن التنظيم الاجتماعي للقبائل الاسترالية التي كان قد أجراها في عام ١٩٣١.

٢. لقد نظر راد كليف براون الى الظواهر الاجتماعية نظرة علمية متكاملة فهو لم يحاول على سبيل المثال أن يتفهمها أو يشرحها في نطاق تلك التفسيرات والشروح التاريخية أو النفسية التي كانت سائدة ابان حياته، ولكنه حرص على النظر اليها من خلال منظور سوسيولوجي متكامل ومن خلال تفسيرها بالظواهر والوقائع الاجتماعية الأخرى وذلك باعتبارها أشكالا اجتماعية ثابتة لتحقيق التآلف والتكامل بين عناصر الحياة الاجتماعية المختلفة ولهذا فهو يرى

ان هذه الحياة الاجتماعية في حقيقتها تتكون من عدة نظم ديناميكية مستمرة تؤدي مع غيرها وظائفها الاجتماعية التي وجدت أصلا من أجلها.

٣. لقد استخدم راد كليف براون فكرة البناء في اول الامر بمعناها التقليدي كما كان يستخدمها غيره من المفكرين المعاصرين له وفيما بعد وابتداء من عام ١٩٣٠ أصبح استخدامه لهذا المصطلح أكثر دقة وعلمية حيث تفهم البناء الاجتماعي على انه شكل من اشكال التدرج الاجتماعي لكل من افراد ومنظمات المجتمع ويرى انه يندرج في نطاق هذا المفهوم كل العلاقات الاجتماعية القائمة بين الافراد وكذا اشكال التمايز الموجودة بين الأفراد وكذا بين الطبقات وبحسب الادوار الاجتماعية المرتبطة بهم كما انه يرى ان الحقيقة العينية التي نهتم بها في دراستنا للبناء الاجتماعي هي تلك الفئة من العلاقات القائمة بالفعل في لحظة معينة بالذات من الزمان والتي تربط بين جماعة معينة من الناس فملاحظتنا المباشرة تنصب في الواقع على مثل هذه الحقائق ولو انها ليست هي الشيء الذي نحاول ان نصفه في كل تفاصيله ودقائقه فالعلم من حيث هو متميز عن التاريخ أو تراجم حياة الافراد لا يهتم بالجزء أو بالشيء الفريد وانما يهتم بالعام فقط أي بالأنواع وبالأحداث التي يتكرر وقوعها.

٤. ويلاحظ أيضاً أن راد كليف براون كان قد استطاع أن يستبدل الاهتمام بفكرة النظام الاجتماعي التي كانت سائدة لدى الكثير من الباحثين خلال تركيزه في ابحاثه الميدانية والنظرية على مدى أهمية أفكار معاصريه بفكرة ومصطلح الثقافة Culture المصطلح المتعدد المعاني سواء على المستوى المجتمعي العام أو على المستوى الاكاديمي وما يحتويه هذا المصطلح من جملة هائلة من الابداعات التي ابتدعها الانسان عبر مسيرته الانسانية الطويلة ولهذا فلقد لفت راد كليف

براون أنظار الباحثين الآخرين الى ضرورة الاهتمام بدراسة عنصر الثقافة العامة او الفرعية القائمة في نطاق المجتمعات التي يقومون بدراستها وذلك بغية التوصل الجيد لتحقيق اهدافهم البحثية بشكل موضوعي ودقيق وبذلك ادى راد كليف براون دوره الفعال في جذب الانتباه وبشكل علمي الى اهمية مصطلح الثقافة، ومن ثم ترسيخه في مجالات البحث والفكر السوسولوجي والانثروبولوجي وذلك انطلاقا من ابتداعه واهتمامه.

٥. وان من بين اسهاماته النظرية أيضا اهتمامه بمصطلح التكامل الاجتماعي لأفكاره عن النظم الاجتماعية والوظيفية الاجتماعية والتي تحكم الانساق السائدة في تيار الحياة الاجتماعية ولقد افترض وعند حديثه عن هذا المصطلح ان وظيفة الثقافة هي ربط أفراد الكائنات البشرية وتوحيدهم في ابنية اجتماعية تتمتع بدرجة كبيرة من الثبات والاستقرار أي في عدة انساق ثابتة تتألف من عدة جماعات وزمر تحدد وتنظم طبيعة ونوعية علاقة هؤلاء الأفراد بعضهم ببعض كما انها وعلى هذا النحو تتنبأ بحدوث التكيف الداخلي فيما بين الافراد او الجماعات التي تؤلف هذه الانساق مما يتسنى معه قيام حياة اجتماعية متماسكة ولقد اعتقد ان هذا الغرض انما يشكل احدى المسلمات الاساسية الواجب وجودها والأخذ بها في كل دراسة علمية وموضوعية عن الثقافة.

٦. ومن بين اسهاماته أيضا نظره العلمية الدقيقة الى علم الانثروبولوجيا التي كفل بها التخلص من تلك الرواسب النظرية العميقة التي كانت تشوب بحوثها دائما بها وفي اغلب الاحيان الى اصدار تعميمات ونتائج نظرية ظنية وتخمينية بعيدة عن ارض الواقع والحقيقة فلقد اعتقد انه يجب ان تنقي الانثروبولوجيا نفسها من تلك الشوائب النظرية التي كان قد سماها القواعد الملازمة للأحداث ولهذا

دعا الى ضرورة نبذ علم الانثروبولوجيا لتلك الشوائب النظرية الفرضية المعبرة عن آراء أصحابها أكثر من تعبيرها عن الحقيقة والواقع ودعا الى الأخذ بالدراسة الانثروبولوجية العلمية الموضوعية والأخذ بالمنهج العلمية الدقيقة في بحوث هذا العلم وذلك بغية الوصول الى معلومات علمية منظمة وذلك باقامتنا الفروض العلمية وبالمعايشة الموضوعية وباختبار هذه الفروض بالطرق المنهجية السوسيولوجية.

ومن الملاحظ ان بعض معاصريه الذين اعجبوا باتجاهات راد كليف براون الامبيريقية هذه لم يدركوا في حقيقة الأمر ذلك المدى من النجاح الذي ارتبط به تفوقهم في ابحاثهم والذي تحقق بفضل أخذهم بارائهم وبأفكاره المنهجية وبالرغم من ذلك فلقد شعر بعض الباحثين من معاصريه بان الانثروبولوجيا هي نظام علمي أو حتى علم مختلف تماما عما كانوا قد اعتادوا عليه في علوم سابقة اخرى كثيرة و شعروا أن الانثروبولوجيا هو علم شديد الصلابة تنقصه النظرة الانسانية حيث ان راد كليف براون كان قد اعتقد بانه يجب على الانثروبولوجيا أن تتبع في اجراء بحوثها الأصول والخطوات العلمية التي تتبعها العلوم الطبيعية والعلمية الاخرى ويلاحظ ان هذه الدعوى هي التي اثارت معارضيه ضده وجعلت بعض يشك في حقيقة ومصداقية علم الانثروبولوجيا وذلك من خلال حرصه على تجريد فكرة الانثروبولوجيا كعلم يجب أن يطبق المناهج الامبيريقية ويستطيع بها أن يصل الى تصميمات دقيقة وتصنيفات علمية وان ينطلق من الاستقرار غير الموجه الى الافتراض والى النظريات العلمية الواسعة النطاق ومن هنا فقد ادعى بعض باطلا أن علم الانثروبولوجيا مع علوم الأجنة والتاريخ وعلم النفس يجب ان لا تقبل بوصفها علوما مستقلة.

وبالرغم من ظهور هذا الاتجاه العلمي المبكر عند راد كليف براون الا انه ومما يلاحظ ان علم الانثروبولوجيا لم يستطع أن يستحوذ على تعريف مناسب ومستقر عنده ويحمل صفاته بوصفه علما يتمتع بهذه الخاصية السابقة ولهذا فان كثيرا من النتائج والاكتشافات التحليلية الامبيريقية التي توصل اليها راد كليف براون ومن خلال فكرته السابقة عن علم الانثروبولوجيا (كأفكاره عن البنائية والوظيفية) هذه النتائج والاكتشافات وان كان من الثابت استخدامها على نطاق واسع الا أنها استخدمت بهذا الشكل فقط في اطار فكرة البنائية الوظيفية ولخدمتها فقط وللإشارة الى طرق ومناهج بحث لم تستخدم الا في أضيق الحالات.

٧. من الواضح ان الانثروبولوجيا عنده، كانت قد خضعت لمبدئين رئيسين شكلا نظرية عامة ونظرية مركزية. وأما النظرية العامة فلقد انتجت لنا ثلاث مجموعات أسئلة مترابطة ولقد تعاملت وأهتمت المجموعة الأولى من هذه الاسئلة بمشكلات الاستقرار أو بمشكلات المورفولوجيا ولقد طرحت عدة اسئلة.

مثل اي نوع من المجتمعات كانت قائمة هناك في الماضي؟ ما أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المجتمعات، كيف يمكن تقسيم هذه المجتمعات وكيف نستطيع مقارنتها بعضها ببعض؟ وأما المجموعة الثانية من مجموعات الأسئلة، فلقد طرحت من خلال اهتمامها بالمشكلات الديناميكية، طرحت عدة اسئلة مثل كيف تعمل هذه المجتمعات؟ وكيف يتوفر لها عنصر الثبات واما المجموعة الثالثة من مجموعات الاسئلة فلقد اهتمت بدراسة المشكلات الخاصة بالتطور وطرحت عدة اسئلة مثل كيف تتغير المجتمعات وخاصة من حيث شكل

نمطها؟ كيف تظهر الأنماط الاجتماعية الجديدة داخل هذه المجتمعات؟ وما القوانين العامة المرتبطة باداء هذا التغير وبتحقيقه؟ ومن الملاحظ أن هذه النظرية العامة التي تهتم بمثل هذه المشكلات كانت قد نقلت الى نطاق علم الاثروبولوجيا حيث استطاع Spencer من خلال علم البيولوجي وهي ذات المجالات أو العناصر التي كانت قد أثرت في أفكار هربرت سبنسر ومن خلالها أن يركز على ثلاثة أشكال من التكيف: التكيف البيئي والتكيف الاجتماعي والتكيف الثقافي واما عن النظرية المركزية فهي تتعامل مع أشكال ومحددات العلاقات الاجتماعية وتهتم بها على اختلاف أنواعها ولقد صاغ راد كليف براون هذه المحددات العلائقية في صيغة مصطلحات التوافق أو التناسب أو انسجام اهتمامات الافراد أو القيم الاجتماعية التي تصوغ العلاقات المؤدية الى حدوث التكيف ويلاحظ ان هذه النظرية تشبه آراء سبنسر عن نموذج التفاعل وتنسحب ايضا على الأسس التي أثرت باسم النظرية العامة للقيم ولقد كان كل من هاتين النظريتين معقدا في الرأي في ظهور نظرية رالف برتون Barton ان حياة المجتمع يمكن أن تدرس وتفهم باعتبارها نظاما لعلاقات تجمع الأفراد وبأنها عبارة عن بناء اجتماعي محدد يضم تدرجا للعلاقات بين الأفراد ومن خلاله تتوقف فيه الاهداف والقيم الخاصة بالأفراد والجماعات المختلفة وتصبح متناسبة ومن هنا يلاحظ ان فكرة التوافق هذه كانت فكرة أساسية لدى معظم أفكار راد كليف براون ويلاحظ أيضا أن كل ما كتبه قد يمثل نموذجا أو هيكلًا عاما لنظرية نقيه تتعامل مع كل الطبقات وشرائح المجتمع وتتعامل ايضا مع شرائح النظم الاساسية أو ما نسميه البناء الاجتماعي وقد أصبح راد كليف براون وفيما بعد مشغولا بمسائل وقضايا النظرية العامة واما في سنواته الاخيرة فاصبح مهتما بفكرة البناء الاجتماعي وبنظرية التوافق وبينما

نجد أنه لم يعد دراسة البناء الاجتماعي محورا أساسيا في دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية الا انه وفي الحقيقة قد عدّ دراسة هذا البناء بمثابة الفرع الاكثر اهمية في دراسة الأنثروبولوجيا ومن هنا فقد اكد ان دراسة البناء الاجتماعي للمجتمع انما تقودنا وبصورة فورية الى دراسة مجموعة الاهداف والقيم التي تقف وراء تشكيل شبكة العلاقات الاجتماعية.

٨. هناك عدة مقولات رئيسة تشكل في تماسكها وترابطها المنطقي شكلا من تصور راد كليف براون النظري هذا التصور النظري الذي يعد أساسا تجريدا للواقع من وجهة نظر معينة بحيث يصور هذا التجريد خصائص هذا الواقع وتفاعلاته وما هي أهم وحداته وكيفية التفاعل والفاعلية بين هذه الوحدات ويتجلى لنا من استطلاع كتابات راد كليف براون نفسه أو الكتابات التي تناولت أعماله ان هناك تركيزا على مقولات رئيسة تشكل في مجموعها تصورا متماسكا للواقع كمنسق له ترتيب خاص لمتغيراته ذات الطبيعة المعينة أيضا. ولعل من اهم المقولات: النسق وقضية التكامل البنائي الاسهام الوظيفي طلبا للوحدة الوظيفية الشاملة البناء الاجتماعي بين قضايا التوازن والصراع، التغير الاجتماعي طبيعته ومداه ١٢.

٩. يرى راد كليف براون أنّ صياغة نماذج بنائية اشبه بالنماذج المثالية التحليل هو المدخل الذي يوصلنا الى نتائج عملية ودقيقة.

١٠. يرى راد كليف براون انه لكي نضمن استمرارية بقاء البناء الاجتماعي فانه لا بد ان تتوفر هناك عدة شروط مثل توفر درجة معينة من الاتساق بين الأجزاء المكونة للنسق الاجتماعي أي ضرورة توفر حد أدنى من التضامن بين أعضاء المجتمع المراد دراسته ضرورة توفر حد أدنى من الاتساق في العلاقات بين

الاجزاء المكونة للنسق ويرى براون ان العلم هو البحث في بناء الكون كما تظهره حواسنا وانه يمكن دراسة هذا الكون من خلال عدة وسائل بحثية هامة مثل وضع فروض نظرية واستخدام الملاحظة والأخذ بالمنهج الاستقرائي وهو منهج العلوم الطبيعية واستخدام التصنيف للظواهر والمعطيات العلمية الاجتماعية أي تحديد الواجبات والحقوق بشكل يمنع تكوين الصراعات وضرورة توفر عنصر الاستمرار بمعنى ان كل مجتمع تسوده خصائص بنائية رئيسة وينبغي أن تتوفر الممارسات التي تؤدي الى دعم هذه الخصائص وضرورة النظر الى البناء الاجتماعي على انه نظرية مفسرة بمعنى انه يستخدم البناء الاجتماعي مبدأ يفسر كافة الظواهر الواقعة الاخرى القائمة في نطاق المجتمع وبذلك يعني راد كليف براون ان البناء الاجتماعي لديه القدرة التلقائية على طرح الميكانيزمات التي تنظم وتحفظ عليه فاعليته وبذلك تصبح أكثر التفسيرات كفاءة تلك التي تحاول البحث في سبب وجود ظاهرة معينة عن طريق توضيح الدور الذي تلعبه في تساند أو وحدة واستمرارية البناء الاجتماعي واستقراره هذا ومن الثابت ان راد كليف براون في فكرته عن البناء الاجتماعي كان متأثراً بأفكار كلا من ريفرز و دوركهايم ولكن وبالمعنى الضيق فانه قد حرص على أن يوضح ان هذا البناء الاجتماعي يعتبر هو المؤثر الأول والوحيد على السلوك الاجتماع وهذا يعني انه ومن خلال البناء الاجتماعي فان المرء يستطيع ان يكون صورة كاملة للتماسك الاجتماعي ويلاحظ الأنماط المختلفة للسلوك وأن يتعرفها أيضا.

١١. لقد حرص راد كليف براون ومن خلال دراسته الحقلية عن الاندمان أن يرسخ بعض القواعد المنهجية في مثل هذه الدراسات الانثروبولوجية وغيرها فلقد أشار الى ضرورة الفصل بين الوصف والتفسير وذلك تجنباً لحدوث

تداخل بين المادة المجمعة مما يعيق وصولنا الى نتائج دقيقة وأشار إلى ضرورة رفض استخدام التاريخ الظني ونبذ التركيبات الافتراضية للماضي وهو يؤكد ان التاريخ الظني لا يمكن ان يعطينا أية نتائج ذات أهمية حقيقية تساعدنا على فهم الحياة الانسانية والثقافية ودعا الباحثين الحقلين الى ان يكونوا دائما على معرفة وثيقة بأحدث النظريات في علم الاجتماع.

## النظام الطومبي

### ووظيفته في المجتمع البدائي كما يراه راد كليف براون

هذا النظام يشيع في عدد كبير من المجتمعات والقبائل البدائية وبخاصة في استراليا ويؤلف جزءاً مهماً في نسق العقائد والعادات في تلك المجتمعات كما انه يعكس بوضوح نمط العلاقات الشعائرية التي يوجدها المجتمع بين الناس وبقية الكائنات من حيوان ونبات وكذلك قوى الطبيعة كالمرط والرعد والبرق وما إليها وهذا معناه أن موضوع الطومبية جزء - أو مظهر - من موضوع أكبر وأشمل وأعم وهو موضوع طبيعة ووظيفة العلاقات القائمة بين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه وميل الانسان في بعض الاحوال إلى تقديس القوى الطبيعية التي توجد في هذا العالم أو تقديس انواع وفصائل معينة من الحيوان او النبات والملاحظ ان الشعوب التي يوجد فيها النظام الطومبي تعامل أنواعاً معينة بالذات من الحيوانات (وفي أحيان قليلة أنواعاً من النباتات أو احدى القوى الطبيعية) بكثير من الحب والرغبة والخوف والاحترام أي التقديس.

ويذهب راد كليف براون الى أن ذلك يحدث في اغلب الاحوال -ولكن ليس في كل الاحوال- في المجتمعات الصغيرة التي تتوقف حياتها ومعاشها على

ذلك النوع المعين بالذات من الحيوان أو النبات ومن هنا كنا نجد كثيرا من القبائل والشعوب التي تعتمد كلية على الأبقار تقديس البقرة في حين تقوم عبادة القمح عند شعوب أخرى يلعب القمح في حياتها الدور الرئيس وهكذا والمبدأ نفسه يصدق على تقديس الحيوانات المتوحشة التي يحب الناس أن يتشبهوا بها ويكتسبوا بعض صفاتها وخصائصها لأهميتها لهم في حياتهم اليومية كما هو الحال في القبائل التي تقديس الأسود وتتخذها طواطم لها فهذه القبائل تعيش في العادة على قنص الحيوان وعلى الإغارة والحروب ضد غيرها من الجماعات وهو نمط من الحياة يتطلب من الناس قوة البأس والشجاعة والقدرة على البطش وما إليها من صفات الأسد وهكذا بيد أن الأمر لا يقف عند حد معرفة العلاقات التي تقوم بين الناس من ناحية وهذه الكائنات ومظاهر الطبيعة من الناحية الأخرى لأن للطوطمية وظيفة اجتماعية أخرى تتعلق ببقاء المجتمع ذاته وتنظيم العلاقات بين الناس فالمعروف ان جوهر الطوطمية يتركز في اعتقاد الناس انهم ينحدرون من ذلك الحيوان - أو النبات أو ما إلى ذلك - الذي يتخذونه طوطما لهم.

كما أن النظام نفسه يوجد في اغلب الاحيان في المجتمعات القبلية الانقسامية حيث تنقسم القبيلة إلى عدد من العشائر المتميزة المستقلة التي ينقسم كل منها إلى وحدات اجتماعية أصغر فأصغر بشرط أن تتمتع كل وحدة منها باستقلالها الخاص في المجالين الاقتصادي والسياسي مما قد يؤدي في آخر الأمر الى تفكك المجتمع كله إلا في الحالات التي يوجد فيها نظام معين بالذات يتعدى كل الحدود الإقليمية والاقتصادية والسياسية ويسود في كل الوحدات الصغيرة على اختلافها مثل نظام القرابة أو نظام طبقات العمر وبذلك يعد عاملا مهما في تماسك المجتمع كله. ومن هنا كان الطوطم الذي ينحدر منه كل أفراد العشيرة أو يشتركون في تقديسه أهم عوامل التماسك الاجتماعي لأنه في الحقيقة القوة الفعالة المضادة لعوامل التفكك

والانشقاق التي يحملها التنظيم الانقسامي بين ثناياه ومن هنا كان الطوغم الذي ينحدر منه كل أفراد العشيرة أو يشتركون في تقديسه يعد أهم عوامل التماسك الاجتماعي بل الواقع أن الطوطمية لها دور أبعد من هذا بكثير إذ تؤدي إلى ارتباط العشيرة الطوطمية بغيرها من العشائر الغربية التي تنتمي إلى طواغم مختلفة فالجماعة الطوطمية وحدة إكسوجامية بمعنى أنه يحرم على الفرد أن يتزوج من داخل عشيرته أو يتخذ لنفسه زوجة تتبع طوطمه نفسه وإنما يتحتم عليه ان يتزوج من امرأة تتبع طوطمًا آخر ومن ثم تنتمي إلى عشيرة أخرى غير عشيرته مما يترتب عليه ارتباط العشائر الطوطمية المختلفة إحداهما بالأخرى بروابط المصاهرة وما يترتب على روابط المصاهرة من تشابك المصالح الاقتصادية وقيام الأحلاف السياسية بين هذه العشائر وواضح من هذا المثال كيف ينظر راد كليف براون إلى موضوع (الوظيفة) الاجتماعية وكيف يحاول تبين وظيفة النظام بربطه بمختلف النظم. فهو يبين في مجال دراسته للنظام الطوطمي صلة هذا النظام بالبيئة الطبيعية التي تحيط بالمجتمع وبها فيها من حيوان ونبات وقوى كونية مختلفة وأثرها في الانسان ثم صلته بالتنظيم القبلي الانقسامي وعلاقته بنظام الزواج وأثره في الحياة الاقتصادية والسياسية والدينية من حيث أن النظام نفسه تدور حوله اساطير وطقوس وشعائر كثيرة لا محل لتفصيل القول فيها هنا.

ومهما يكن من شيء فالذي لا شك فيه هو أن راد كليف براون أفلح في ان يضع عدة نقط مهمة أصبحت بمثابة الأساس في كل الدراسات التالية التي تعالج مسألة الوظيفة الاجتماعية وقد برزت هذه النقاط في الأصل نتيجة لنظرته إلى العلوم البيولوجية وإصراره على الاعتماد على المماثلة بين الكائن العضوي الاجتماعي والكائن العضوي الحيواني رغم كل ما تعرض له هذا الاتجاه من هجوم ونقد فقد أدى به ذلك إلى ان يأخذ الوظيفة على انها الدور الذي يلعبه الجزء في النسق الكلي

وقد نجح منذ نشر دراسته القصيرة المهمة في هذا الموضوع في ان يفرض هذا الفهم على الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية الحديثة. (١٣)

### الوظيفية كما يراها راد كليف براون

مما لا شك فيه ان الوظيفية بوصفها منهجا وأسلوبا بحثيا وفكريا مدينة في انتشارها وتطورها لجهود العلامة راد كليف براون، فهي الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في النشاط الكلي كما أوضحنا سابقاً حيث يقول راد كليف براون في تناوله لهذا المفهوم انه يعتمد عند تطبيقه في المجتمعات الانسانية على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والعضوية حيث ينسب اليه هذا المنهج في كثير من الاحيان وذلك دون غيره من العلماء والمفكرين الآخرين وان كان من المتحقق ان هربرت سبنسر يعد في الواقع أول من ادخل مصطلح الوظيفية إلى مجال دراسات العلوم الاجتماعية وذلك بعد استعارته اياه من مجالات الدراسات الفسيولوجية والوظيفية هي اتجاه أو منهج انتشر استخدامه في نطاق الدراسات الاجتماعية وذلك بعد أن استخدمه وأشار اليه والمهم في هذا كله هو أن راد كليف براون يأخذ الوظيفة الاجتماعية على أنها نصيب النشاط الاجتماعي الجزئي في النشاط الكلي الذي يؤلف هو جزءاً فيه فوظيفة أي ظاهرة من الظواهر - أو أي عنصر من عناصر السلوك الاجتماعي - هي الدور الذي تؤديه هذه الظاهرة في الحياة الاجتماعية التي تعبر عن النسق الاجتماعي الكلي وتصدر عنه والمقصود (بالنسق الاجتماعي الكلي) هنا هو البناء الاجتماعي وكذلك كل المناشط والممارسات والعادات الاجتماعية التي ينعكس البناء فيها من ناحية ويستمد منها وجوده وكيانه من الناحية الأخرى وبهذا المعنى فإن النسق الاجتماعي الكلي يتمتع بنوع من الوحدة التي يسميها راد كليف براون بالوحدة الوظيفية وبقول آخر فإن الوظيفة هي الحالة التي تعمل فيها كل أجزاء النسق الاجتماعي معا

بحيث يكون بينها درجة كافية من الانسجام والاتساق أو الاطراد الداخلي بحيث تمنع من قيام الصراعات الدائمة الخطيرة التي لا يمكن حلها أو التحكم فيها ولأول مرة في نطاق الدراسات الانثروبولوجية والوظيفية وباعتبارها منهجا انما تهتم بدراسة النتائج والآثار المترتبة على وقوع نشاط او سلوك اجتماعي محدد مع اهتمامها بالنظر الى هذه الآثار من خلال مدى تأثيرها على شكل البناء الاجتماعي القائم في المجتمع وطبيعته ويستخدم علماء الاجتماع مصطلح الوظيفية للإشارة الى العمليات الاجتماعية والأفعال وبناءات الجماعة وطائفة أخرى كثيرة من الظواهر أوسع نطاقا بكثير من مصطلح الثقافة التي تظهر في الاستخدام الانثروبولوجي ولا يميل كل علماء الاجتماع الذين يستخدمون مصطلح الوظيفية الى اعتبار أنفسهم منتمين الى الاتجاه البناء الوظيفي في التحليل<sup>(٤)</sup>.

وفكرة الوظيفية التي تطبق على المجتمعات انما تقوم اصلا على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة البيولوجية فالوظيفية بهذا المعنى هي الدور الذي يؤديه أي نشاط جزئي في النشاط الكلي الذي يكون هو جزء فيه ووظيفية اي عادة اجتماعية جزئية هي اذن الدور الذي تلعبه هذه العادة في الحياة الاجتماعية كلها باعتبار ان هذه الحياة هي عماد النسق الاجتماعي الكلي.<sup>(٥)</sup> واما عن المسلمات الأساسية التي يأخذ بها الفكر الوظيفي فإنها تتمثل فيما يلي:

١ . الاهتمام بالبناء الاجتماعي والمماثلة بينه وبين الوظائف الموجودة في الجسم العضوي.

٢ . ان الانساق الاجتماعية هي انساق طبيعية يمكن لنا ردها الى قوانين اجتماعية لذلك فليس من الضروري معرفة تاريخ نشأة مثل هذه الانساق ومن الثابت ان الاتجاه الوظيفي كان قد ظهر في نطاق الانثروبولوجيا على ايدي كل من

العلامة راد كليف براون والعلامة مالمينوفسكي ولقد ركز هذا الاتجاه على أهمية تحليل المجتمعات البدائية من خلال دراسة النظم الاجتماعية المختلفة الموجودة بكل منها وذلك من خلال علاقاتها المتبادلة بالنظم الأخرى القائمة في المجتمع نفسه من ناحية وفي ضوء ما تؤديه من وظائف وما تحققه من آثار ونتائج وما تقدمه من إشباعات للحاجات الضرورية والملحة الخاصة بالأفراد في المجتمع من ناحية أخرى.

وقد نادى راد كليف براون بضرورة استخدام هذا المنهج من خلال دراساته الأنتروبولوجية النظرية والحقلية المتعددة ودعا إلى استخدام هذا الاتجاه عن طريق المشابهة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية وذلك من خلال وجود ما سماه بالشروط الضرورية اللازمة لبقاء الوجود الاجتماعي واستمراره في أداء عمله ويلاحظ هنا انه قد تجنب أن تكون أفكاره مشابهة أو ان تجيء صورة طبق الاصل لأفكار ونظريات اميل دوركيم وذلك عندما شبه المجتمع بالكائن العضوي.

كما ان راد كليف براون من خلال أفكاره هذه حرص على الابتعاد بنظرياته نحو الوظيفية عن ان تنتمي هذه النظريات الى الافكار والمعتقدات الروحية او الألهية التي كانت سائدة حينئذ هذا ولقد تضمنت أفكاره تمييزا واضحا بين المورفولوجيا الاجتماعية أو تحليل شبكة العلاقات الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي وبين الفيزيولوجيا الاجتماعية أو بحث ما يوجد في المجتمع من ظواهر اجتماعية ترتبط عند قياسها بوظائفها ترتبطا متبادلا ورأى انه من الواجب وانطلاقا من هذا الاتجاه الوظيفي أن يكون أي بناء شيئا أكثر من مجرد المجموع الكلي لأجزائه وعناصره المكونة له و يجب أن نتفهم تلك الاجزاء أو العناصر المفردة من حيث كونها مترابطة معا ومعتمدة كل منها على الأخرى، ولهذا فإننا نجدد يشير وأشار مالمينوفسكي إلى

ان مختلف أشكال المجتمعات يجب ان تحلل وتدرس من خلال وظائفها وعلى اي حال فانه يرى ان وظائف هذه المجتمعات لا تنحصر فقط في تلبية حاجات افرادها ولكنها تعمل وفي الحقيقة على الابقاء على البناء الاجتماعي والذي يتمثل عادة في انماط العقائد، والعادات، والنظم القائمة في المجتمع هذا ولقد استعار راد كليف براون من العالم الفرنسي اميل دوركهايم فكرة ان المجتمع هو اكثر من مجموعة عضوية تتكون من الافراد الموجودين في المجتمع فالمجتمع له بناؤه الداخلي الخاص به والمتعلق بجملته المعتقدات والممارسات المضبوطة بواسطة مجموعة القيم والتي تشكل اصلا سلوكيات الافراد وتؤثر فيها ولهذا فلقد أشار راد كليف براون الى ان مهمة الاثنوبولوجيا ان لا تركز في دراستها على أفعال الأفراد ولكن عليها ان تنظر وتبحث عن حقيقة البناء الذي يحكم هذه الافعال ويوجهها.

المفتاح الحقيقي لمعرفة هذا البناء هو دراسة مجموعة القيم والمعايير التي تسود المجتمع هذا ولقد تقبل راد كليف براون وبوجه عام تعريف دوركهايم لوظيفة النظام الاجتماعي بانها التناظر بينه وبين حاجات الكائن العضوي الاجتماعي ولكنه كان يرى وفي الوقت نفسه ضرورة ادخال بعض التعديل او التفسير على ذلك التعريف حتى يمكن ازالة ما يعتره من غموض وما يلبسه أحيانا من التأويلات الغائية ولهذا يقترح أن تستبدل اصطلاح الشروط الموجودة بكلمة حاجات التي يستخدمها دوركهايم، فاذا لم يكن هناك ثمة بد من استخدام كلمة حاجات، فيجب ان يفهم منها هذا المعنى وحده ونود ان نذكر هنا ان أية محاولة لاستخدام مفهوم الوظيفة في العلم الاجتماعي تتضمن الدعوى بان هناك شروطا ضرورية لوجود المجتمعات البشرية مثلما توجد شروط ضرورية لوجود الكائنات العضوية الحيوانية وان في الامكان اكتشاف هذه الشروط عن طريق البحث العلمي الملائم<sup>(١٦)</sup>.

واستطاع راد كليف براون ومن خلال نظرتة الوظيفية أن يحدد وبدقة معالم كثير من المصطلحات الاجتماعية العلمية مثل مصطلحي البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي.

أما البناء الاجتماعي فانه يرى ان هذا البناء انما يتكون من وحدات اساسية هي الأفراد الموجودون في نطاق المجتمع الذين يرتبطون بعضهم ببعض من طريق مجموعة من العلاقات المتكاملة وان هذا البناء لديه القدرة على الاستمرارية وعلى البقاء بذاته وذلك بحكم شبكة التفاعلات القائمة في المجتمع والتي تتكون منها الحياة الاجتماعية والتي تتحدد أصلا على انما الاداء الوظيفي للبناء الاجتماعي واما عن التغير الاجتماعي فانه ينظر اليه ايضا من خلال منظور وظيفي حيث يرى انه يماثل النمو العضوي وانه عبارة عن سلسلة من الحوادث المهمة التي وقعت في خلال فترات زمنية محددة ويرى ان النمو السكاني يعد أحد الأمثلة أو الأشكال البارزة لظاهرة التغير الاجتماعي وحدثها في نطاق المجتمعات الانسانية كما ان راد كليف براون وانطلاقا من الاتجاه الوظيفي الذي آمن به ودعا الى استخدامه لأول مرة في نطاق الانثروبولوجيا الاجتماعية قد رأى ان الوظيفية هي الاسهام الذي يقدمه النشاط الجزئي بالنسبة للنشاط العام ولقد كتب عن ذلك الامر عندما قال انني اميل الى تعريف الوظيفية الاجتماعية بوصفها نشاطا محددًا بانها العلاقة بينه وبين البناء الاجتماعي حين تعمل على استمراره ووجوده ولا عجب في ذلك فان راد كليف براون كان يرى انه اول من استخدم مفهوم الوظيفية ودعا الى تطبيقها والأخذ بها ولهذا وجدنا ان كافة اسهاماته النظرية والحقلية تصبغ بمفاهيم هذا الاتجاه الوظيفي كما ان مفاهيم الوظيفية والبناء والعملية تسيطر على مصطلحات راد كليف براون فلقد كان باحثا وظيفيا وبنائيا عرف الوظيفية في علاقاتها بالبناء ولهذا فأنا نجدته متأثرا بأراء هربرت سبنسر عن الكائنات العضوية وما تقوم به كل

منها من وظائف فان راد كليف براون يرى ان هذه الخصائص السابقة توجد أيضا في نطاق المجتمع وذلك تبعا لما يلي:

أ. ترتبط الكائنات البشرية وهي العناصر المكونة للمجتمع بعضها ببعض بواسطة علاقات اجتماعية.

ب. يظل استمرار الكل (المجتمع) قائما برغم استمرار التغير في عناصر هذا الكل ورغم تغيير أدوار هؤلاء الأفراد.

ج. يظل المجتمع محافظا على استمراره بفضل الوظائف الخاصة التي تقوم بها عناصر البناء الاجتماعي، فوظيفة اي نشاط اجتماعي هي ذلك الدور الذي تقوم به هذه المناشط في الحياة الاجتماعية ككل وهي بذلك تتمثل في اسهام هذه المناشط في تحقيق الحفاظ على استمرارية بناء المجتمع.

ولقد ترتب على ظهور هذا الاتجاه الوظيفي على أيدي راد كليف براون آثار كبيرة موضوعية ومنهجية وبعيدة الأثر في نطاق الدراسات الانثروبولوجية عامة ودراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية خاصة. فلقد كان للاتجاه الوظيفي آثار ايجابية وسلبية في الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية مرجعها رؤية الوحدة المجتمعية كوحدة كلية وظيفية عضوية وذلك على الرغم من عدم اتساق تلك الرؤية مع مفهوم البناء الاجتماعي الذي يتعرض بالضرورة لتغيرات قد تتخذ صورة تعديلات قد تصل حتى الى حد تحلل مكوناته وهي بإيجاز رؤية لا تمدنا في ذاتها بنموذج مناسب لتحليل التغير الاجتماعي وفهمه<sup>(١٧)</sup>.

وترتب على ترسخ وسيادة هذا الاتجاه الوظيفي عن طريق دراسات راد كليف براون وقوع ميل ظاهر الى التركيز والالتزام وهو يعني تأويل الظاهرة الاجتماعية بصورة كلية في حدود وظيفتها الى حد بعيد بما ساهم هو خط التفسير المتزامن التي

تعني بتحديد ماهية أو الوراثة الاجتماعية المعاصرة وذلك على حساب نماذج التفسير التتابعي الظروف المعينة التي جاءت الى الوجود وبأشياء معينة على ما هو عليه في الوقت الحاضر.

ويلاحظ ان من اهم تلك الآثار التي ترتبت على ظهور فكرة الوظيفة وسيادتها عند راد كليف براون هو حدوث ارتباط وثيق بين فكرة البيئة الاجتماعية وهذا المنهج الوظيفي فضلا عن أن هذا المنهج يعتبر وبحق من بين اهم العلامات المميزة لدراسات الاثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا وفي غيرها من الدول الاخرى فإذا كانت كتابات هذا العالم قد ظهرت في بداية عام ١٩٢٢ فلقد توالى بعد ذلك دراسات عدد من الباحثين والكتاب الوظيفيين الذين ساروا على الاتجاه نفسه فهناك وليام وارنر المدينة السوداء - دراسة اجتماعية لقبائل استراليا - ونشر في عام ١٩٣٧ وهناك أيضا دراسة فريد إيجان عن الحياة الزوجية في قبيلة أفريقية التي نشرت في شمال أمريكا في عام ١٩٣٧.

### بنائية راد كليف براون بين الاتفاق والاختلاف

من الثابت ان راد كليف براون لم يكن منساقا وراء جملة الاتجاهات العلمية والآراء النظرية التي كانت قد ظهرت على ايدي كثير من رواد علم الاجتماع من امثال هيربرت سبنسر واميل دوركهايم وبرنسلو مالفينوسكي فلقد استطاع أن يجلل هذه الاتجاهات الذاتية وان يتخذ بالنسبة لها مواقف علمية خاصة به سواء من حيث الاتفاق أو الاختلاف ولا سيما فيما يتعلق ببعض القضايا الميدانية والنظرية التي أهتم بها كالبناى الاجتماعي والتغير ومسائل تحديد افضل الطرق لدراسة التجمعات البدائية دراسة علمية دقيقة ولقد أدى هذا الاتجاه الذي اتخذه راد كليف

الى دعم وترسيخ افكاره ونظرياته وبالنسبة لآراء هربرت سبنسر فلقد كان راد كليف حيايدا وموضوعيا دقيقا الى حد كبير فبالرغم من انه كان قد اتفق معه في بعض النقاط الا انه انتقد باقي نظرياته وآرائه وعدها بعيدة عن الدقة العلمية فلقد اتفق مع سبنسر وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بتصوره لطبيعة كل من البناء الاجتماعي والتغير الاجتماعي الا انه قد اختلف معه ولاسيما فيما يتعلق بفكرة سبنسر أن الكائن العضوي لا يمكن له أن يغير من نموذج البناي في أثناء حياته ففي حين يستطيع البناء الاجتماعي ان يغير نمودجه البناي عدة مرات مع استمرار بقائه وديمومته هذا ولقد اتفق راد كليف مع سبنسر في الرغبة لإيجاد المماثلة الدقيقة بين كل من النظم البيولوجية والأبنية الاجتماعية، حيث انها يتشابهان معا وخاصة فيما يتعلق بطبيعة وظيفة كل منهما من ناحية والظروف المحتممة لوجود كل منها من ناحية أخرى<sup>(١٨)</sup>.

يرى راد كليف براون ان البناء الاجتماعي هو شبكة العلاقات الاجتماعية العقلية التي تقوم بين سائر الاشخاص في المجتمع ويتخذ من الاسرة الوحدة الاولية للبناء الاجتماعي بينما نجد ان ايفانز بريتشارد لا يعد الأسرة جماعة بنائية لاعتبارها جماعة زائلة تموت بموت أفرادها اي انه يقصد بالجماعة البنائية الجماعة التي تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيب والتي تتألف من مجموعة من الاشخاص يعتدون أنفسهم وحدة قائمة بذاتها وترتبط بسائر الوحدات الاخرى في علاقات بنائية.

واما موقف راد كليف براون من آراء العلامة اميل دوركهيم فلقد اتفق مع كثير من أفكار دوركيم ونظرياته مما يشير الى مدى رحابة وعمق الفكر العلمي عند راد كليف براون فلقد اتفق مع دوركهيم على سبيل المثال في الاهتمام بالبناء الاجتماعي وضرورة الاتجاه لدراسته لتعرف حقيقته واتفق معه في اعتبار ان البناء الاجتماعي هو الاساس الاول لتحديد شكل الادوار الوظيفية التي تقوم بها النظم الاجتماعية التي

يتكون منها أصلاً هذا البناء كما ان راد كليف براون قد اتفق أيضاً مع دوركهيم في ضرورة التركيز على مبدأ التضامن الاجتماعي ودوره المهم في مجال الحياة الاجتماعية عامة وفي تسيير البناء الاجتماعي واستمراريته خاصة واننا ومن خلال تفهمنا لهذا البناء نستطيع أن نتفهم أشكال العلاقات والسلوكيات الاجتماعية كافة.

فلقد كانت هناك في الحقيقة عدة نقاط اتفاق واختلاف بينه وبين Malinowski واما عن العلامة برنسلاو ومالينوفسكي فقد انبعثت أصلاً من طبيعة أفكار ونظريات كل منهما فلقد اختلف راد كليف براون مع مالينوفسكي حول أصل وطبيعة الاتجاه الوظيفي وجوهر اهدافه وكيفية ظهوره ومدى تأثيره على كثير من الدراسات والعلوم الاجتماعية والانسانية كالأنثروبولوجيا على سبيل المثال ولقد رأى مالينوفسكي ان كل النظم الاجتماعية تؤدي دوراً وظيفياً محدداً واما راد كليف براون فكان يعارض ذلك ويرى ان بعض النظم الاجتماعية ليست لها وظائف محددة وبينما يرى مالينوفسكي ان النظم الاجتماعية انها تؤدي وظائفها من اجل اشباع حاجات الأفراد فان راد كليف براون يرى ان هذه النظم انها تسعى لتحقيق واشباع حاجات اجتماعية عامة وليست خاصة.

وإذا ما كان من الثابت ان السؤال الرئيس الذي حاول الاجابة عليه مالينوفسكي في دراسته عن جزر التروبريانند يدور حول كيف تعمل مجموعة من العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية لتفي باحتياجات الأفراد الضرورية لها فان راد كليف براون كان قد وجه في جزر الاندمان سؤاله حول مسألة تماسك النظام الاجتماعي أي كيف يمكن الحفاظ على التضامن والترابط بين مكونات الكيان أو البناء الخاص بمجتمع معين؟ لذا فقد رفض كلاهما فكرة تجزئة عناصر الثقافة أو مكونات البناء الاجتماعي الى وحدات صغيرة يعمل الباحث على تقصي تاريخ نشأتها وانتشارها أو

تطورها عبر الزمان أو المكان ودعا الى ذلك التطوريون أو الانتشاريون وقد تطلب هذا المنطق النظري الاتصال المباشر بالثقافات موضوع الدراسة من خلال منهج الدراسة الحقلية لوصفها في حالتها الراهنة أو الانية<sup>(١٩)</sup>.

واما عن معالم الاتفاق الواضحة الأخرى بين آراء كل من مالينوفسكي وبراون فهي ضيقة ومحدودة النطاق فلقد اتفق كل منهما على سبيل المثال على مدى فساد المنهج التخميني أو الذاتي الظني في دراسة الحقائق الاجتماعية بصفة عامة ودراسة المجتمعات البدائية بصفة خاصة ولهذا فأن العالمين يريان ضرورة الأخذ بالمنهج العلمي الواقعي لدراسة هذه المجتمعات كما انها هاجما معا المناهج والاتجاهات الانتشارية والتطورية وخاصة بالنسبة لعدم جدواهما في دراسة الثقافة القائمة في نطاق المجتمعات ومن خلال كل هذه الآراء المتفقة والمختلفة بين راد كليف ومالينوفسكي فلقد تضاربت أقوال الباحثين حول حقيقة مكانة كل منهما فيما يتعلق بإنشاء المدرسة الوظيفية ودعم أفكارها ونشرها كاتجاه علمي من ناحية واختلفوا حول حقيقة وضع وطبيعة اسهام كل منهما في مجالات الأنثروبولوجيا من ناحية اخرى وفي الواقع فأن راد كليف براون كما يبدو جليا كان أوسع وأرحب فكرا تجريبيا في مجالات الأنثروبولوجيا الاجتماعية من نظيره مالينوفسكي وحسما لمثل هذه الاختلافات فان كثيرا من العلماء والباحثين يرون ان كلا من راد كليف براون ومالينوفسكي هما الرجلان المسؤولان عن تشكيل الأنثروبولوجيا الاجتماعية و ظهرت في انكلترا وكل الذين يشتغلون اليوم بتدريس هذا العلم في انكلترا كانوا قد تتلمذوا في الأصل عليها بطريق مباشرة أو غير مباشرة وان معظمهم على أي حال كانوا تلاميذ مباشرين لهما.

## استنتاجات البحث

من اهم الاستنتاجات التي توصل اليها بحثنا الحالي عن راد كليف براون الذي له فضل كبير على دراسات الانثروبولوجيا العامة وعلى دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية الخاصة أنه أرسى راد كليف براون بواسطة نظرياته واتجاهاته الأمبيريقية والمنهجية دعائم هذا العلم الجديد ونشره وعمل عن طريق بحوثه النظرية والحقلية الرائدة على دعم الانثروبولوجيا الاجتماعية مما أدى الى تطويره في الاتجاه الصحيح وبصفة عامة فانه يمكن لنا ابراز اهم معالم دوره في هذا الخصوص فيما يلي:

١. إن راد كليف براون باعتباره احد رواد الانثروبولوجيا الوظيفية حيث يأخذ الرأي القائل ان الانساق الاجتماعية هي انساق طبيعية ويمكن معالجتها بتطبيق مناهج العلوم الانسانية وكان راد كليف براون أول من أجرى دراسة حقلية علمية دقيقة ومتكاملة الى حد كبير في مجالات البحث الحقلية في الانثروبولوجيا الاجتماعية وذلك عندما أجرى دراسته المشهورة عن سكان الاندمان.

٢. لقد كانت منهجية راد كليف براون تمثل القدرة على كيفية استخدام الأدوات والطرق المنهجية الانثروبولوجية القديمة منها والجديدة وذلك من خلال دراسته المذكورة في جزر الاندمان وخاصة ان هذه الدراسة تعد بحق أول محاولة يقوم بها أحد علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية لفحص النظريات الاجتماعية وذلك بالرجوع الى مجتمع بدائي معين و لوصف الحياة الاجتماعية في ذلك المجتمع بطريقة تبرز بوضوح النواحي التي تتطابق مع هذه النظريات وربما كان لهذه الدراسة من هذه الناحية أهمية في تاريخ الانثروبولوجيا الاجتماعية

تفوق أهمية الرحلة الى مضايق توريس والتي كان افرادها يهتمون بالمشكلات الاثنولوجية والسيكولوجية أكثر من اهتمامهم بالنواحي الاجتماعية كما انه من الثابت ان دراسات وبحوث علماء الاثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرين لباحثنا كانت تعاني من نقاط الضعف وأوجه القصور وخاصة من حيث قصر مدة الدراسة وعدم تفهم لغة الأهالي وعدم التعمق في دراسة ابعاد حياتهم الاجتماعية وهذا ما تحاشاه راد كليف براون في دراسته الشهيرة تلك مما جعلها نموذجا يحتذي به العلماء في هذا المجال ولهذا اخذت الدراسات اللاحقة تتجه بالتدرج نحو التركيز والقاء الضوء أكثر على كل جوانب الحياة في تلك المجتمعات وذلك انطلاقا من دراسة براون واهتماماته واصول الدراسة الحقلية التي وضعها دارسو قواعدها.

٣. ومن الثابت أيضا ان فضله العلمي يمتد أيضا لكي يشمل اسهاماته في ترسيخ نظرية البنائية الوظيفية حيث حرص على ان يقف موقفا علميا ونظريا وسطا بين اتجاهين قديمين ويتمثل الاتجاه الأول في اتجاه التفكير الذي ترعمه دوركهيم ووضع فيه مجموعة من المقولات النظرية التي كانت غالبا في حاجة الى الاختبار والفحص التجريبي واما الاتجاه الثاني فيتمثل في اتجاه التفكير عند برنسلو ومالينوفسكي البارز في دراساته الحقلية المعروفة ومن هذا المنطلق جاء موقف راد كليف براون وسطا بين الاتجاهين السابقين والمتناقضين معا فجمع في اتجاهاته العلمية النظرية والحقلية ما بين مزايا وفضائل هذين الاتجاهين المتناقضين.

ولهذا جاء تفكيره وما افرزه من بحوث ودراسات انعكاسا صادقا للاتجاهين معا فهو قد امتلك القدرة الدوركيميا على اثاره القضايا النظرية مع امكانية

التأكد والدراسة الواقعية والحقلية الفعالة وبقدرة تناظر الكفاءة المالىنوفسكية الى حد كبير ومن ثم فإنه يمكننا القول بان راد كليف براون قد شكل الاطار الذي التقى في نظامه تنظير دوركهائم مع امبيريقية مالىنوفسكي وبذلك يرجع اليه الفضل في تحديد أهمية استخدام المنهج الانثروبولوجي وذلك بعد ان قام باستخدامه بطريقة معمقة ومتكاملة بحيث أعطى المثل لغيره من الباحثين الانثروبولوجين بالاهتمام بكل من جوانب التنظير من ناحية والعمل الحقلى الدقيق من ناحية اخرى مما دفعهم الى السير فيما بعد على المنوال نفسه.

٤. استطاع راد كليف براون أن يجلب اليه أنظار الباحثين الى ضرورة استخدام المنهج العلمي في الدراسات الأنثروبولوجية بشكل دقيق ومحدد فهو لم يمض مثل كثير من معاصريه في ركاب الاتجاهات العلمية النظرية والتخمينية الخاطئة مثل الاتجاهات التطورية أو الانتشارية أو التاريخية.

ولهذا وجدنا انه ومع حرصه على استخدام الاتجاهات العلمية الدقيقة يحرص على تنفيذ ونقد مزاعم الاتجاهات الفكرية الخاطئة التي كانت تسود عصره ويعمل على نبذها وخاصة تلك الاتجاهات التطورية التي افرزت لنا العديد من النظريات المتناقضة بعضها مع بعض والتي جانبت حد الصواب واستطاع أيضا ان ينتقد أيضا آراء المدرسة النفسية والتي تظهر تفسيراتها في ضوء الطبيعة الانسانية الواحدة حيث أظهر مدى وقوعها في أخطاء علمية واضحة واطهر أيضا مدى تباين النفس البشرية واختلاف طبائعها من فرد لآخر ومن مجتمع الى مجتمع.

٥. أهتم راد كليف براون بتحديد كثير من المصطلحات المستخدمة في نطاق علم الانثروبولوجيا الاجتماعية وذلك منعا للخلط بينها وتحديد ماهية كل

مصطلح على حدة وذلك انطلاقاً من تفكيره المنهجي العلمي الدقيق ولهذا فلقد ركز كل همه على تفسير المصطلحات المستخدمة في نطاق الأنثروبولوجيا وتحديدها تحديداً علمياً ودقيقاً وأشار إلى أهمية دراسة المصطلحات العلمية في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية كي تصبح علماً موضوعياً تقف مصطلحاته إلى جانب بقية المصطلحات المستخدمة في العلوم الأخرى كما أنه اهتم بتحليل الألفاظ والتمييز بينها وخاصة التشابهات اللفظية منها كالفرق بين الفرد والشخص والبناء والنظم والهدف والغرض وغيرها من المصطلحات المستخدمة بكثرة في نطاق الأنثروبولوجيا ويتضح لنا ذلك من خلال كتابه القيم عن أسس المجتمع البدائي.

٦. ابتكر راد كليف براون لأول مرة بعض وسائل وأدوات بحث أنثروبولوجية جديدة واستطاع استخدامها لأول مرة في نطاق دراسات وبحوث الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثل استخدامه لوسائل المعيشة التامة، الاستعانة بالأخباريين، الاستعانة بالتقارير والكتابات السابقة الإقامة الطويلة وسط مجتمع البحث مع الحرص على تعرف الأساطير السائدة في المجتمع وتعرف أحوال المجتمعات البدائية قبل خضوعها للاستعمار وبعده تعرف اللغات واللهجات السائدة في مجتمع البحث ولقد تمكن راد كليف براون من استخدامه لهذه الأدوات معرفته لبعض لغات بعض القبائل التي قام بدراستها مثل الاندمان وكذا اعتماده على المترجمين واستخدامه لبعض الصور الفوتوغرافية للتوضيح ويتضح ذلك كله في كتاب القيم عن جزر الاندمان<sup>(٢٠)</sup>.

٧. طبق راد كليف براون ولأول مرة عدة موضوعات جديدة في دراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية لم يسبقه إليه احد... ومن أمثال هذه الموضوعات

دراساته المستفيضة عن نظم القرابة وتتبع نشأتها لدى المجتمعات البدائية لتعرف كيفية ظهورها وانتقالها بعد ذلك من مرحلة الى مرحلة حتى وصلت الى أشكالها الحالية ولقد كان لقيام راد كليف براون بإجراء مثل هذه الدراسات الرائدة وباختبار هذه الموضوعات الانثروبولوجية المبتكرة المهمة نتائجها الطيبة على الدراسات الانثروبولوجية عامة وعلى دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية خاصة فمن الثابت أنه قد تحقق الكثير من التقدم في انثروبولوجيا القرابة منذ ظهور دراسة راد كليف براون الشهيرة التي ظهرت عام ١٩٣٥ بعنوان تسلسل النسب الأبوي والامومي والتي أعيد نشرها في كتابه القيم بعنوان البناء والوظيفية في المجتمعات البدائية لهذا فإنه يقال ان مقالاته عن انساق القرابة والبناء الاجتماعي والوظيفية والطوطمية والقانون كانت اسهامات مهمة بصفة خاصة<sup>(٢١)</sup>.

٨. لعل من اهم انجازاته المهمة أيضا هو دعوته لدراسة المجتمعات البدائية ميدانيا لكي نستطيع ان نستخلص منها تلك الأطر النظرية النمطية والتي تقودنا الى احداث بؤرة في التحليل وفي تفسير تلك العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد، وباختصار فانه يمكن القول بان راد كليف براون قد استطاع وبنجاح أن يحول الانثروبولوجيا الاجتماعية من انغماسها في دراسات التطور التاريخي والنفسي الى الدراسات الميدانية المقارنة ودراسة تلك البناءات الاجتماعية المتغيرة هذا ومن الثابت أن عددا كبيرا من الباحثين في الولايات المتحدة الامريكية الانثروبولوجيين وخاصة من تلاميذ راد كليف براون قد اتبعوا دعوته هذه ولعل من اهم هؤلاء وليام وارنر في الولايات المتحدة الامريكية وايفانز بريشارد في المملكة المتحدة.

٩. ومن أفضل راد كليف براون أيضا هو دقة استخدامه لمصطلحاته العلمية الجديدة التي لم تكن معروفة او متداولة بدقة قبله وخاصة مصطلحات الوظيفة النظم الاجتماعية البناء الاجتماعي فان استخدام مفهومات البناء الاجتماعي والنسق الاجتماعي والوظيفية الاجتماعية وحسب التعريفات التي وضعها براون والتي وردت في عبارات سابقة ساعدت مساعدة فعالة في تحديد وتبين مشكلات الدراسة الحقلية فلقد كان علماء القرن التاسع عشر يقنعون بالحقائق التي كان يجمعها الأشخاص الاعتياديون فيقومون عليها نظرياتهم ولم يخطر ببالهم قط ان ثمة ما يدعو الى أن يقوموا هم انفسهم بدراسة هذه الشعوب البدائية ويرجع ذلك الى انهم كانوا يهتمون في دراستهم بالوحدات الصغيرة التي تتألف منها الثقافة ولكن بعد ان تبين العلماء ان العادة أو الفعل يفقد معناه في الأغلب حين ينزع من السياق الاجتماعي الذي يقوم فيه ادركوا أهمية القيام بالدراسات الحقلية الشاملة.

١٠. لقد استطاع راد كليف براون ومن خلال منظوره الوظيفي أن يتفهم طبيعة بناء المجتمعات خاصة البدائية منها ومن خلال الوظيفية نجد ان براون قد استطاع أن يوجد مقارنات وتحليلات علمية فيما بين بناء المجتمعات والبناء العضوي للإنسان واستطاع ان يوجد عدة خصائص فيما بين الأمرين. ويبدو ان هذه الخصائص تعد من أكثر ما تصدق على المجتمعات البدائية ولهذا فلقد كانت المناظرة العضوية هي المفتاح الذي مكن من الفهم النسقي للمجتمعات البدائية البسيطة وقد أمكن في ضوء هذه المناظرة الكشف عن التشابه بين بناء المجتمع (الثقافة) وبين بناء الكائن الحي البيولوجي كما أمكن في ضوءها الوصول الى نتائج معينة عن المجتمع والثقافة.

١١. وترجع الى جهود راد كليف براون وبحوثه الفضل في تحفيز همم الباحثين لإجراء الدراسات الحقلية الأثروبولوجية في مختلف الحياة الاجتماعية للمجتمعات البدائية كما يرجع اليه الفضل أيضا في تحقيق المزيد من الدعم لفروع أخرى من الانثروبولوجيا مثل فرع الاثنولوجيا ولهذا وجدنا ظهور حركة واسعة بين الانثروبولوجين في الثلاثينات والاربعينات للخروج من أوروبا لأجراء دراسات حقلية في أماكن متعددة من المستعمرات لجمع مادة اولية لوصف وتحليل الثقافات في سياقها الواقعي ولقد نتج عن ذلك العديد من الكتابات الوصفية التحليلية للقبائل والمجتمعات المحلية الصغيرة بالمستعمرات الأوربية الموجودة في آسيا وأفريقيا الأمر الذي أثرى الانثروبولوجيا بهادة اولية جمعت بطريقة منهجية تفوق ولا شك تلك المعلومات التي كان قد جمعها الرحالة والمستكشفون في القرون السابقة.

١٢. جسد راد كليف براون أصول وطبيعة النظرة الشاملة والكلية عند دراسة المجتمعات من خلال المنظور الانثروبولوجي وهي تلك النظرة التي كانت تفتقر اليها البحوث والدراسات الانثروبولوجية عامة ودراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية في أواخر القرن الماضي ولقد التزم راد كليف براون بتطبيق هذا الاساس الانثروبولوجي عند قيامه بدراسة الاندمان وخاصة من حيث حرصه على دراسة كل النظم الاجتماعية القائمة لديهم مع محاولة الربط بينهما لتفهم نوعية العلاقات التي تسود هذه النظم وتربطها بعضها ببعض وإذا كان الثابت ان راد كليف براون قد تجنب القاء الضوء على سوسيولوجية الجنس لدى الاندمان مما انقضض الصورة العامة والمتكاملة عن حياة هؤلاء السكان فإنه تنبه على ذلك النقص وحاول تبريره بشتى الطرق الممكنة التي رآها مناسبة لذلك.

١٣. ان الاتجاه الوظيفي قد نشأ في نطاق الدراسات الانثروبولوجية عامة والاثروبولوجيا الاجتماعية خاصة وذلك بفضل جهود راد كليف وأفكاره ونظرياته عن هذا الاتجاه ولا شك انه كان لظهور هذا الاتجاه آثار ونتائج ايجابية كثيرة سبق أن أشرت اليها على الانثروبولوجيا الاجتماعية، مما زاد ترسيخها وأدى الى تدعيمها.

وبصرف النظر عن ذلك الجدل الدائر حول الى ما ينسب الاتجاه الوظيفي الاثروبولوجي الى راد كليف براون أو مالينوفسكي فمن الثابت ان راد كليف براون كان قد نادى واستخدم هذا الاتجاه ومفهوماته الاساسية المرتبطة به حتى و- كما يقول راد كليف نفسه - قبل أن يبدأ برنسلو ومالينوفسكي نفسه في دراسة الاثروبولوجيا.

ولعل من اهم تلك الاسهامات التي قدمتها جهود راد كليف براون عن الوظيفية هو تأكيده خاصية نسبية الثقافية الانسانية الأمر الذي ساعد على تقويض دعائم فكرة العنصرية والتعالى المقربتين حيث اوضح التحليل البنائي الوظيفي للمجتمعات البدائية ان الثقافة أسلوب حياة له مقوماته العقلانية و يعكس مواءمة معقولة بين الناس والبيئة والاحتياجات الفردية.

١٤. كذلك أسهم راد كليف براون بدراساته في دعم بعض موضوعات الدراسة في علم الاجتماع ولفتت دراساته أنظار علماء الاجتماع الى هذه الموضوعات الدراسية المهمة الذي ركز عليها وخاصة عندما حرص على اجراء دراسات مقارنة عن طبيعة الحياة الاجتماعية القائمة في المجتمعات البدائية التي قام بدراستها لهذا كان راد كليف براون أحد الذين اوضحوا ما يطلق عليه علم الاجتماع المقارن ويقصد به ادراك المبادئ البنائية المستمدة من الدراسة المقارنة

للإنساق الاجتماعية التي تحكم العلاقات الانسانية ويظهر هذا بوضوح في المقال المطول عن دراسات القرابة الذي حرره مع س. نورد ونشر تحت عنوان انساق القرابة والزواج في افريقيا.

١٥. ولا شك ان راد كليف براون بما ابتدعه من موضوعات بحثية مبتكرة في مجالات الانثروبولوجيا الاجتماعية بما قدمه وطبقه ولأول مرة في نطاق المنهجية والأدوات البحثية الانثروبولوجية كان لكل ذلك أكبر الأثر في جعل اسهامات راد كليف براون نقطة تحول مهمة وواضحة على طريق دعم نشأة الانثروبولوجيا وترسيخ تطورها واستمرار بقائها ولهذا فان دراسات هذا الفرع من الانثروبولوجيا كانت قد تحددت وانتعشت وانتقلت الى مرحلة من تطوره بفضل جهود راد كليف براون كما ان الباحثين في مجالات هذا العلم قد استفادوا نظريا ومنهجيا من أفكار واتجاهات البحث عند راد كليف براون النظرية والحقلية بل انهم وفي كثير من الاحيان وفيما بعد حرصوا على تقليده في كثير من بحوثهم. وان كثيرا منهم كانوا قد ضبطوا خطواتهم وأعادوا بحث خططهم وفقا لما اظهرته اسهاماته الرائدة في مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية.

١٦. حرص راد كليف براون على ان يجعل الانثروبولوجيا الاجتماعية بمثابة فرع من فروع العلوم الطبيعية بضبط مناهجها وبتحديد مصطلحاتها والتي كانت ماثرا لكثير من الاختلافات وحاول أن يجعل منها لغة موضوعية متفقا عليها وحرص على أن يحرر هذا العلم من الاتجاهات غير الموضوعية كي يكتسب صفة العلوم الطبيعية الدقيقة ولقد ادرك راد كليف براون ما كانت تعاني منه الانثروبولوجيا الاجتماعية من معوقات نظرية ومنهجية فدعا الباحثين الى التركيز على استخدام المفاهيم والمناهج العلمية الدقيقة لتجنب الوقوع في هذه

المعوقات وهنا يقول بان الانثروبولوجيا الاجتماعية تبدو للأسف علما لم يتم تكوينه بعد ولهذا يتحتم على كل باحث أن يستخدم المفاهيم التي تتناسب مع التحليل العلمي الدقيق.

وهذا ما يدفعنا الى القول بان كثيرا من اسهامات هذا العالم انما يعد اليوم مصدرا رئيسيا لكثير من التعريفات ومجالات الدراسة المنبثقة في نطاق الانثروبولوجيا الاجتماعية وذلك من خلال اهتمامه الواضح والمؤكد بتحديد تلك التعريفات والمفاهيم المستخدمة في نطاق هذا العلم من ناحية وحرصه على تحليل الالفاظ العلمية المستخدمة والتميز بينها وخاصة المتشابهات اللفظية منها كالفروق الوظيفية Function والتنظيم Organization والبناء Structure والشخص Person والفرد Individual، فالإنسان بوصفه فردا هو كائن بيولوجي عضوي وبنو البشر بوصفهم أفرادا يكونون موضوعات لدراسة الغرض Purpose والهدف Aim بالنسبة الى علماء الفسيولوجي والسيكولوجي، لكن الانسان بوصفه شخصا هو شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية كأن يكون زوجا أو أبا أو مواطنا انجليزيا.

واستطاع راد كليف أن يفرق ما بين البناء والتنظيم حيث يقول ان للشخص ومن خلال التنظيم الاجتماعي دوره ولهذا فإنه يمكن القول اننا عندما نكون بصدد دراسة النسق البنائي فإننا نكون أمام نسق من المواضيع وعندما نكون بصدد دراسة التنظيم فإننا نواجه نسقا من الأدوار ومعنى هذا ان راد كليف براون ينظر الى البناء الاجتماعي من خلال ارتباطه بطبيعة المواضيع والمراكز الاجتماعية اما التنظيم الاجتماعي عنده فيرتبط بنسق الأدوار الأمر الذي يؤكد مدى عناية راد كليف براون بمفهوم المصطلحات الانثروبولوجية الدقيقة كي تكون أهلا للاستخدام العلمي الدقيق لعلم جديد هو علم الانثروبولوجيا الاجتماعية.

- .....
1. Jean – Marie Ouzias: Clefs pour le Structuralisme. Editions Seghers' Paris 1967. 74
2. د. قيس النوري: المدخل الى علم الانسان، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٣: ٧٥.
3. ياس خضر عباس، الدليل والاشارة في الاسرة العراقية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠١١: ٤٤.
4. د. محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا، القاهرة، ٢٠٠٧: ٤٢.
5. سعدي فيضي عبد الرزاق، المدخل الى علم الانسان، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٩: ١٤٨.
6. Kuper, Adam, Anthropology And Anthrologists London. Routledge And Kegan region paul.1983 P58
7. ايفانز بريشارد، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة احمد ابو زيد، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب.
8. علي محمود اسلام الفار، الانثروبولوجيا الاجتماعية، الطبعة الخامسة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤: ٨٠.
9. Issa, Aly. Anthropology In theory and practice. Cairo Dar Almaraf, 1964, p. 241
10. R. Brown, A.R., Social organization of Australism Tdibes, 1931. pp. 3 - 25
11. Question of anthropology. edit by ; rita astute ; jonathan parry and Charles staffovd berg ; new york volume 2007 ; usa
- ايكه هولتكرانس -محرم- قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور -ترجمة محمد الجوهري وآخر -الطبعة الاولى- القاهرة دار المعارف ١٩٧٢: ٣٩٦.
12. علي ليلة -البنائية والوظيفية في علم الاجتماع والانثروبولوجيا- المفاهيم والقضايا - القاهرة- دار المعارف - ١٩٨٢: ١٩٠ - ٢٢٠.
13. احمد ابو زيد، البناء الاجتماعي، الجزء الاول المفهومات، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦: ٨٦.
14. محمد عاطف غيث -محرم- قاموس علم الاجتماع -الهيئة المصرية للكتاب- ١٩٧٩: ١٩٦.
15. R. Brown, in A. R., on the concept of function in social sciences. in American arthropologist., N. Y. 1935, p. 397
16. احمد ابو زيد -البناء الاجتماعي- مدخل لدراسة المجتمع -المفهومات- القاهرة -الدار القومية للطباعة والنشر- ١٩٦٦.
17. محمد عبدة محجوب - مقدمة في الانثروبولوجيا - المجالات النظرية والتطبيقية - الاسكندرية

– دار المعرفة الجامعية – ٢٦:١٩٨٧.

Mair, Lucy. Introduction To social Arthropology, London, Richard Clay, 1972. ١٨ .p. 36

١٩. حسين فهيم – قصة الانثروبولوجيا – فصول في تاريخ علم الانسان – الكويت عالم المعرفة – ١٩٨٦: ١٦٩.

Singer, andre (Ed). Ahistory of Anthropological thought. By E. Pritchard. N. Y. ٢٠ .Basic Books, 1981. p. 203

٢١. عبد الهادي الجوهري (محرر) معجم علم الاجتماع – القاهرة – مكتبة نهضة الشرق – ١٩٨٠: ١١٠.

## المصادر والمراجع

- المراجع (العربية)
١. احمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، المفهومات، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦.
٢. ايفانز بريشارد، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة احمد ابو زيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.
٣. ايكه هولتكرانس (محرر) قاموس مصطلحات الانثروبولوجيا والفولكلور ترجمة محمد الجوهري وآخر، الطبعة الاولى القاهرة، دار المعارف ١٩٧٢.
٤. حسين فهميم، قصة الانثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الانسان، الكويت، عالم المعرفة ١٩٨٦.
٥. راد كليف براون، مقالة عن البناء الاجتماعي ترجمة عبد الحميد الزين، مجلة مطالعات في العلوم الاجتماعية، صيف - خريف ١٩٦٠.
٦. عبد الهادي الجوهري، محرر، معجم علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٠.
٧. علي ليلة، البنائية الوظيفية في علم الاجتماع والانثروبولوجيا المفاهيم والقضايا، القاهرة دار المعارف ١٩٨٢.
٨. علي محمود إسلام الفار الانثروبولوجيا الاجتماعية، الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية الطبعة الخامسة، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٢.
٩. د. قيس النوري، المدخل إلى علم الإنسان مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٣.
١٠. د. محمد الجوهري، علياء شكري، مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا، القاهرة ٢٠٠٧.
١١. محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفية، الكتاب الاول، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨١.
١٢. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩.
١٣. محمد عبدة محجوب، مقدمة في الانثروبولوجيا، المجالات النظرية والتطبيقية الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧.
١٤. ياس خضر عباس، الدليل والاشارة في الاسرة العراقية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠١١.
- المراجع الأجنبية
15. Issa Aly. Anthropology – In Theory And Pracice. Cairo, par Almarf. 1964. 2- Lowie, Robert. The History of Ethnological Theory. N. Y., Hill. 1973. 3- Lewis, Thon, In The Present

- position of Anthropological Studies, Presidential Address, London, Association for the Advancement of Science, 1931.
- 4- Mair, Lucy – Introduction to Social Anthropology, London, Richard Clay, 1972.
- 5 – Kuper, Adam, Anthropology And Anthropologists, London Rowledge And Kegan, 1983.
16. Mitchell, G. A dictionary of sociology, London, Rowledge And Kegan, 1973.
- 7 – Plog Fred, Daniel Bates, (Ed) Cultural Anthropology, N.Y. Knop, 1980.
- 8 – Pritchard, Evans, Social Anthropology, London, Oxford, University, 1951.
- 9 – Radcliffe Brown, A.R., On The Concept of Function in Social Sciences, In American Anthropologists, N. Y., 1935.
- 10- -----, Structure And Function in Primitive Society, London, Gohen And West, 1950.
- 11- -----, The Andaman Islanders, Cambridge, 1933.
17. Redfield, Robert, Primitive Law, Typescript, Anthropology And Sociology, N. Y University of Chicages No date.
18. Stanher, W. Radclifbe Brown, In Davidsills (ed) Encyclop- edia of S. Sciences, Val 13, No. Y., Mac- Milan, 1968.
19. Stinger, Andre. (ed), A History of Anthropological Thought, N.Y., Basic Books, 1981.
20. Question of anthropology, edit by, rita astute ; jonathan parry and Charles staffovd berg new York volume 2007 ; usa.